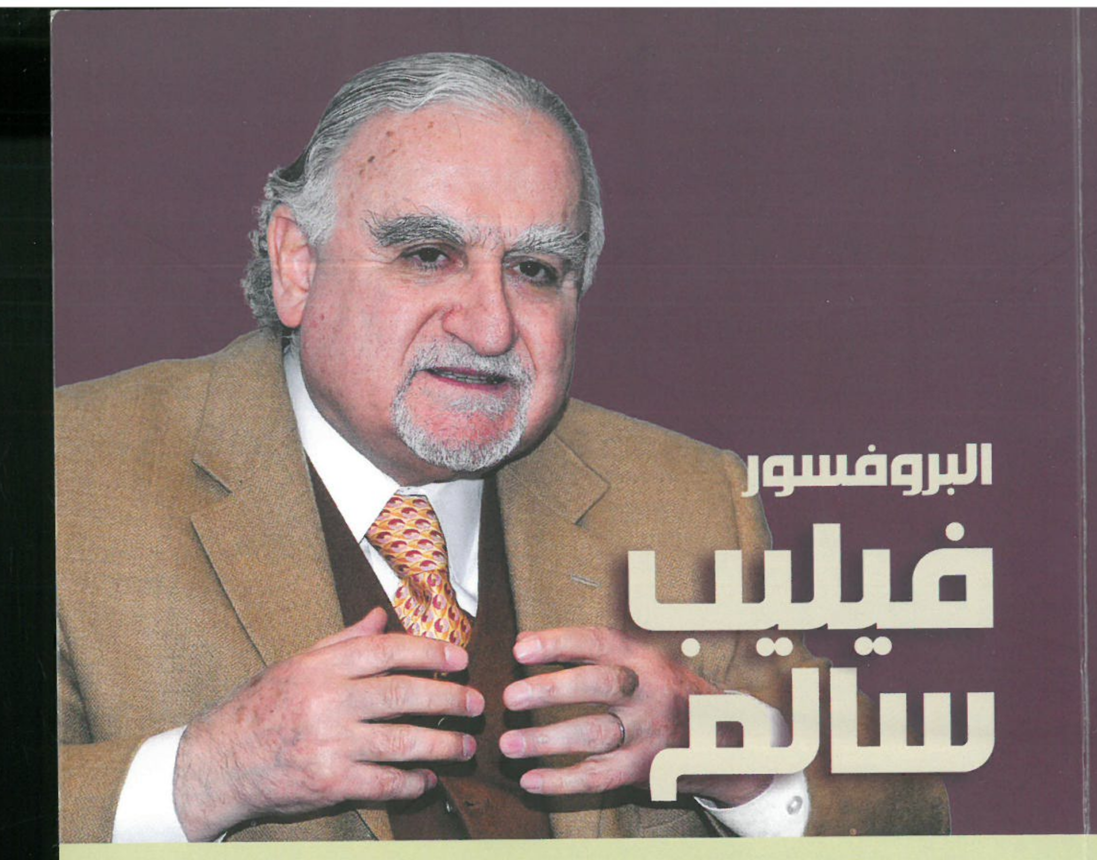


البروفسور

فيليب سالم

سرطان الطائفيّة

حاوره

جان دايه

فجر النهضة

A
324.2182
S1635p
c.1

A
324.2182
S1635p

البروفسور

فيليب سالم

سرطان الطائفيّة

حاوره

جان دايه

LAU Beirut campus
14 SEP 2021
Riyad Nassar Library
RECEIVED



جميع حقوق التأليف والنشر والترجمة
والتوزيع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
2018

تصميم الغلاف: اميل منعم

محتويات

الصفحة

الصفحة

الاهداء

إلى المعلم بطرس البستاني الذي دعا في نشرته «نفير سورية» العدد العاشر الصادر في 22 شباط 1861 إلى: «وجوب وضع حاجز بين الرياسة أي السلطة الروحية والسياسة أي السلطة المدنية، لأن المزج بين هاتين السلطتين الممتازتين طبعاً، والمتضادتين في متعلقاتهما وموضوعهما، من شأنه أن يوقع خللاً بيّناً وضرراً واضحاً في الأحكام والأديان، حتى لا نبالغ إذا قلنا انه يستحيل معه وجود التمدن وحياته ونموه».

المؤلف

أشكر

أنطوان رعد

أسعد الخوري

نصري الصايغ

ريمون دروس

إميل منعم

الذين ساهموا في ورشة بناء هذا الكتاب.

ج.د.

تقديم

لبنان اللبنانيين
متى ينوجد ؟

بقلم: نصري الصايغ

كتاب هذا، يختلف عن سواه. انه حوار مفتوح على القضايا المضنية في بلد متهالك. اسئلة يطرحها الاستاذ جان دايه على الدكتور فيليب سالم. اسئلة في السياسة والثقافة، وليست اسئلة في العلم، أو في علاجات الأمراض، ومنها السرطان. اسئلة، حول سرطان الطائفية وحول الحلول وصعوبة انجازها. ولبنان، بلد صعب جداً، يكاد يكون علاجه من المستحيلات. فهو لا يتقدم في السياسة، وهو بلد أدمن على التراجع، وهو كيان صلب وصامد في وجه أي تغيير أو اصلاح أو تحسين أو تجميل. بلغ لبنان درجة تيئيس المتفائلين وتعجيز المؤمنين، بوطن ديمقراطي حر، تسود فيه المواطنة، ويفصل فيه الدين عن الدولة و....

كتاب تطالعه، فتجده يحاورك ويحمّلك مسؤولية الاسئلة ويضعك امام امتحان الاجوبة. وستبدو الاسئلة صعبة جداً والاجوبة

أصعب اكثر. فلبنان، الذي يشغل بال الدكتور سالم، هو لبنان الانسان، لبنان الحرية، لبنان المواطنة، لبنان الثقافة، لبنان الابداع، لبنان العلم، لبنان الانتاج، لبنان المُعاني من الطائفية والتبعية والزبائنية... ولنا أن نسأل مع جان دايه: أين الطريق إلى هذا اللبنان؟

أول ما يلفت في الكتاب مقدمة جان دايه التي رصدت رجالات العلم والطب في عصر النهضة وما بعده، والتي انخرطت في العمل الانشائي والسياسي. خريطة وافية لعلماء جديرين بالريادة.

في لبنان، لا مفر من الطائفية. هي علة وجود لبنان وسبب علله كافة. هي سابقة على الكيان وعلى الدولة. فلبنان، ليس دولة طائفية، بل هو دولة للطائفية، اي ان الكيان بذاته، كان هدية للطائفيين، الذين ورثوها عن المذابح التي اندلعت في جبل لبنان، منذ حكم الأمير بشير الشهابي. لعل لهذه الاسباب، الطائفية سرطان، كأن لا شفاء منها، أو، كأن شفاءها يحتاج إلى أزمنة.

كم تبدو رغبة الدكتور فيليب سالم صعبة. تفاؤله حذر، لكن ايمانه بفصل الدين عن الدولة، هو الأساس الذي يبنى عليه الاجتماع السياسي، وتنشأ الدول ويعبّر عنه في النظام السياسي والممارسة. بدا للقادم من الطب أن مريضه يتعافى، بشرط تطبيق مبدأ الفصل التام بين الدين والدولة، محتفظاً للدين بقيمة كبرى، بمستوى الحضارة البشرية. فالدين ليس شأناً عابراً، بل هو أساس لايمان لدى الشعوب كافة. الاستثناءات قليلة، ولا تبنى قاعدة على الاستثناء.

لبنان فيليب سالم مريض ولكنه يمتلك مقومات كثيرة، أهمها الحرية. لديه فائض من الحرية. حدودها، ليس القانون، إنما مصلحة الطوائف وزعمائها. واذا كان لا بد من بداية، فالمعركة تبدأ بالتربية. من دون التربية المدنية، تنشأ الاجيال اللبنانية على

انتماءاتها الموروثة. التربية، عند الدكتور فيليب سالم، تجدد العقل وتحرره من قيود موروثة وتدربه على التفكير الحر، وتلزمه بأن يكون أولاً إنساناً، بكل ما في هذا الانتماء للانسانية، من رقي وسلامة مجتمع ورفعة قيم وجدوى سياسية. من دون الالتزام بقيم انسانية، كالحرية والعدالة والمساواة، لا جدوى. فاما أن يكون دينك السياسي، شرعة حقوق الانسان، واما تنقاد بغرائزك الطائفية والمذهبية والعنصرية، وتحوِّل حياتك الاجتماعية إلى جحيم من التناحر والتنابذ والانقسام والكراهية. لا تبنى سياسة من دون قواعد مبدئية، من دون التأكيد على منظومة قيم عليا اجتماعية، وإلا فالسرطان يستشري. وهذه هي حالة لبنان اليوم.

عناد الدكتور سالم نموذجي. بيده مفتاح العلاج، ومنه تبدأ المعافاة. يكرر ثم يكرر، لا خلاص إلا بفصل الدين عن الدولة، فيتم تحرير الدين من مشكلات السياسة والدولة، ويتم تحرير الدولة من آفات تدخل الدين ورجالاته وزعاماته القابضة على النفوس وملغية النصوص. ويبرهن الدكتور سالم على حجم الافات المتعاقبة من استعمال الدين كأداة سياسية.

اذا كان الايمان مبنياً على التسليم، كما يقول، فان السياسة مبنية على المصالح، وأرقاها، مصالح الناس، من دون تمييز ديني أو طائفي أو مذهبي. لقد بلغ تدخل الدين والطائفية في الدولة، جعلت من الدين ضحية من ضحايا انفلات الغرائز الدينية. عانى لبنان في حروبه الداخلية، هذه الويلات. صار الدين حزباً. الاحزاب المسيحية جنت على لبنان. الاحزاب الوطنية في الاحضان الاسلامية، جنت على لبنان. واليوم، بلغ التطرف الديني مداه من العنف، بحيث صار الاسلام ضحية المسلمين، كـ «داعش» و«النصرة»، وباتت اليوميات اللبنانية السياسية، مداراة للحساسيات الطائفية، خوفاً

من الانزلاق إلى الشارع. وعندما يصير الأمن، هو الشغل الشاغل والمقلق للدولة، يصار إلى معالجة المشكلات بالحلول الوسطى، ولو كانت مخالفة للدستور وناقضة للقوانين. فماذا يكون «هذا العيش المشترك» قاعدة لبنانية، فيما هو خطر دائم تلزم معالجته بمراهم وعقاقير غير وطنية؟

لا يعوِّل الدكتور سالم على السياسيين أبداً. يقول: «سياسيو اليوم يستحيل عليهم الاصلاح. لانهم مرتزقة يعيشون على حساب الدولة... ورجال الدين مشتركون معهم في هذه الجريمة». اذا، من اين يأتي الحل. والحكم ممثل من هذه الطبقة السياسية المزمنة والتي لا تحتاج إلى دليل لاعلان فسادها؟

على من يقع اللوم؟ على قوى الداخل أم قوى الخارج؟ يقول الدكتور سالم، انتهى زمن لوم الآخرين، لوم السوري ولوم الفلسطيني لا يجدي. هذا ماضٍ مضى. «حان وقت تحمل المسؤولية». أما ان يكون مستقبلنا من صٍنعنا واما نجتر ازماتنا بلا أفق.

اي حل أذن؟ مبدأ فصل الدين عن الدولة من يطبقه؟ مبدأ تطبيق النظام الديموقراطي من ينفذه؟ مبدأ الاصلاح من يقوى عليه؟ الجواب: الرحلة طويلة وتبدأ من المدرسة والجامعة. هذا على صعيد الثقافة والتربية وتدريب العقل على ما هو ابعد من الخصوصية اللبنانية المريضة. التربية أساس، انما من يحمل المشروع؟ الدكتور سالم يرى في المجتمع المدني خشبة خلاص. لكن تجربة هذا المجتمع غير مقنعة وينقصها الكثير: مجتمع مدني بلا قيادة مسؤولة وفاعلة ومسموعة، هو مجتمع موسمي. هذا اساس للنجاح مع الاصرار على سلمية الاحتجاج والعمل الميداني، ولا قدرة لأي فريق مدني ان يحقق الانجاز الوطني، من دون بناء تنظيم قوي يضم كافة اطراف المجتمع المدني، ويكون هذا التنظيم خالياً

من الصراعات والنزاعات والفردية، والأهم هو الديمومة والحضور الفاعل، فلا يكون المجتمع المدني طفرة موسمية لا اكثر.

يكرر الدكتور سالم متلازمة المدرسة - الجامعة. من هناك نبدأ. التربية المدنية في لبنان قاصرة على تعريف التلميذ واجبات محددة في نظام متهالك. في المدرسة واجب تعليم التلميذ قيم الوطن والمواطنية. واجب تحذيره من الطائفية والمذهبية المدمرة. على المدرسة واجب تخريج مواطنين. يلزم طرد الطائفية واقتلاعها منذ نعومة الأظافر. التعليم الديني كما هو ممارس يخرّج طائفيين ومذهبيين. اول ما يجب التأكيد عليه، لا دين للدولة ولا دخل للدين في السياسة.

النخب غائبة، أو مغيبة لنفسها. التربية بلا دور للنخب فيها، تصير اداة لنقل المعرفة من الاستاذ إلى الطالب من دون مناقشة. النخب لا تملي بل تناقش وتحاور وتجرب وتتعلم اكثر مما تعلِّم. لا تشعر النخب راهنا بدورها في التغيير، «لذلك لم تتمكن النخبة في العالم العربي من تغيير المجتمع العربي، لأن النخبة بحد ذاتها غير قابلة للتغيير، وبقيت على تقليديتها في التعاطي مع الآخرين». وهذا الوضع يفسر لماذا يظل العلم سجيناً. سبحانه هو المكتفي بذاته. يصير العلم في هذه الحالة طلاءً خارجياً وزينة اجتماعية واكاديمية لا اكثر. اين الاسئلة؟ اين مناخ الحوار؟ اين محاور الاختلاف ومنصات الالتقاء؟ اين تدريب العقل على الجرأة والنقد والتحدي والتطلع إلى التاريخ الماضي بعين نقدية إلى الحاضر بعين المساءلة والرفض، وإلى المستقبل بالانفتاح على الحلول، وضرورة نقل وجهات النظر المختلفة إلى ورشة حقيقية للمعرفة الفاعلة؟

يشدد الدكتور سالم على زواج العلم بنزعة التحرر من الجهل والعادة. الحرية فعل تحدٍّ للواقع وفعل بناء للمستقبل، فبناء الوطن

يقوم على التربية الملتزمة بمبادئ الحرية والحق والجمال والمعرفة، أن تربية لا تساهم في صنع انسان جديد، هي برنامج مدرسي لا نفع منه.

يبدو الدكتور سالم انه ذو نزعة براغماتية، فهو يميز بين العلمانية وفصل الدين عن الدولة. «العلمانية شيء اكبر من فصل الدين عن الدولة، وفصل الدين عن الدولة هو قسم من فلسفة العلمانية... العلمانية تنطوي على شيء من تخفيض قيمة الدين... الدين أمر مهم ونحتاجه كي لا ندمر ما بقي من اخلاقياتنا».

وهو ليس ضد أن تكون بعض المدارس والجامعات تابعة لطوائف، بشرط ألا يفرضوا الدين أو المذهب على التربية والعقل. العلوم الدينية تظل خياراً لمن يرغب. لا اكراه في الدين. كن ما تشاء واتركني على ما أنا عليه. «فالجامعة التي لا تضمن حرية المعتقد والرأي، ليست جامعة... انا اريد الفصل بين الدين والدولة ولكني أصرّ على احترام الاديان».

لماذا لم تفز العلمانية، ولِمَ لم يطبق فصل الدين عن الدولة؟ جواب الدكتور سالم حاسم: «خذ معظم العلمانيين، ان لم يكن كلهم، هناك انفصام لديهم بين الكلمة والفعل، لا التزام بالكلمة حتى لدى المفكرين والكتّاب». المشكلة ليست في المبدأ، بل في من يعتنقه ولا يلتزم به حياتياً وتربوياً وسياسياً. يؤمن بشيء ويمارس نقيضه. فيما التربية الدينية، تؤمن وتفعل، وللاسف، احياناً تشذ عن قواعد الحياة، وتذهب إلى عبادة النص فتقرأه بحرفيته، وخارجاً عن ظروفه وبيئته وتاريخه. «فالذي اوصلنا إلى داعش، هي المدارس الدينية التي تحض على الطائفية، وكان من نتائجها قتل من يخالف رأي خريجي تلك المدارس... اذن، لا بد من فصل الدين عن التربية... لا يمكنك وضع التربية تحت رحمة الدين».

ولنعترف بأن التربية ليست كل شيء. مشروع فصل الدين عن الدولة، بحاجة إلى قيادة سياسية وامور اخرى كثيرة. لذلك يقتضي انتهاج مسار ديناميكي متحوِّل. لا بد أولاً من فصل الدين عن السياسة. النتيجة، ستكون في تحرير المواطن من التبعية السياسية لزعيمه الطائفي. والنتيجة الأهم، هو في تكوين ادارة نظيفة تحترم القوانين وتعمل بموجبها، من دون شعور بالخوف من أحد. الكفاءة أولاً، لا يمكن ان تطبق من دون تحرير السياسة والادارة من الطائفية والمذهبية. وهكذا يكون الشعار العملي، تعالوا نبني دولة على اساس الفصل، أولاً، بين الدين والسياسة.

يبقى هذا التفكير بحاجة إلى من يعمل به. الطبقة السياسية في لبنان اقوى من الدين والله والناس. فهي قوة قابضة، وقبضتها ممسكة بمصائر الناس، عبر ربطهم بها بواسطة نهج الزبائنية.

فهل يكون لبنان مصاباً بسرطان يتفشى، غير قابل للعلاج في المدى المنظور، أو هو مستعص حتى الآن، لفشل بنيوي أو لعجز في تشخيص المرض بأسبابه، وتلكؤ المعالجة، واستقالة النخب عن دورها في خوض معركة الحياة؟

والدكتور فيليب محاور ومحاضر وعالم، ويؤمن بالتعدد، والاختلاف في الرأي محبذ. لا يقبل الموافقة بلا قناعة. الفكر الحر، يؤمن بحرية الفكر. بديهية علمية وسياسية. قمع الفكر ديكتاتورية يقود إلى انفجار وخيم العواقب. الديمقراطية، اساسها، تأمين حرية التفكير وحرية الاختيار واحترام حرية الرأي، عندما يكون مختلفاً. «ديمقراطياتنا» العربية معدومة، والديموقراطية في لبنان معطوبة، واعطابها مزمنة، بسبب ارتهانها للطائفية، بداية ونهاية.

انطلاقاً من ايمان الدكتور سالم بحرية الرأي والحق في الاختلاف، أجد فسحة لنقاش السياسة الخارجية التي يختلف عليها اللبنانيون. هو يميز بين لبنانية اللبنانيين. فليس كل الاطراف «اللبنانية» هي لبنانية. وهذا صحيح، ولكن اسبابها لا تعود إلى «خيانات» للبنان. فلبنان الكيان، مولف من كيانات طائفية راسخة. وهذه الكيانات الطائفية ليست مستقلة عن امتداداتها في المنطقة. المسيحيون، يكفيهم لبنان بحدوده وجغرافيته، ولكن الطوائف الاخرى عابرة للحدود من الأساس التكويني للبنان. منذ العام 1920، عام تأسيس الكيان والدولة، واللبنانيون لا يكتفون بلبنان. ومثل هذا، ليس عمالة، بل هو قناعة ناتجة عن انتماء مذهبي، اقوى بكثير من الانتماء الوطني. وعليه اختلف اللبنانيون، ولجأوا إلى العنف مراراً، لحسم خلافاتهم التي تدور حول المحاور الدولية والاقليمية وما له علاقة بفلسطين.

اختلف اللبنانيون عندما اختار الحكم اللبناني في العام 1956، ان يدخل في مشروع ايزنهاور. المسلمون، عروبيون اساساً، رفضوا هذا الحلف ورأوا ان الناصرية أقرب اليهم من أميركا. انفجر لبنان. بعد اعوام، فتح لبنانيون الابواب لمنظمات الكفاح الفلسطيني، ايماناً منهم بواجب قومي، يتخطى حدود سايكس – بيكو. لقد استضاف هؤلاء القضية وسلاحها وانخرطوا فيها وكانوا على وشك تغيير اسس الكيان الذي تم التوافق علي حياديته بين شرق وغرب. بين لا للوحدة ولا للحماية.

لبنان مؤلف من جماعات لبنانية مكتفية بلبنان بحدوده، ومن جماعات تتخطى ولاءاتهم الحدود. فالشيعي اليوم اقرب إلى الشيعي الايراني منه إلى السني اللبناني، والسني اقرب إلى السني السعودي منه إلى الشيعي اللبناني. لبنان، ليس واحداً، من

الاساس. ومع ذلك، هي متمسكة بالكيان، ومتنازعة على انتماءاته الخارجية.

هناك فريق لبناني يرى إلى فلسطين واجباً وجودياً. السنّة كانوا كذلك قبل انزياحهم إلى السعودية. الشيعة صاروا كذلك بعد ثورة الخميني التي رفعت شعار القدس.

هذا هو لبنان. مشكلته انه لا يتمتع بجاذبية الولاء والانتماء اليه وحده. انتماءات اللبنانيين هي باتساع خريطة انتشار الطوائف والمذاهب في الاقليم. ولا يبدو ان في الافق حلاً لذلك. فإسرائيل ستبقى عدواً لفريق من الواجب مقاومته ومحاربته، فيما يرى فريق اخر الاكتفاء بالدعم اللفظي، من دون ان ننسى ان الاسرائيلي دخل لبنان متحالفاً مع فريق لبناني اصيل في لبنانيته.

هل من علاج لهذه الحالة؟ هل المطلوب ان يستقل لبنان عن قضايا محيطه وكيف؟ هل يمكن اعلاء اللبنانية على الانتماءات الطائفية والمذهبية؟ اذا كان صعباً فصل الدين عن الدولة في لبنان، فانه من الاصعب، فصل لبنان عن القضايا الاقليمية ومنها قضية فلسطين، ومن الاصعب ان يحصل استقلال عن الدول الاقليمية المتنازعة. فلبنان منقسم دائماً، بين اميركا وعبد الناصر، بين السورية واللبنانية، بين الممانعة والمسالمة، بين السعودية وايران، بين وبين إلى آخر النزاعات.

لبنان، بلد صعب، هذا هو قدر اللبنانيين، ولكن، ليس حتماً أن يظل كذلك.

من هذا المنظور، اختلف بالرأي مع الدكتور فيليب سالم، فاسرائيل مشكلة لبنانية، كما هي مشكلة عربية، وكما هي قضية لا مفر منها. لبنان ليس جزيرة وسكانه ليسوا سيّاحاً ابداً. انهم

منخرطون، من خلال ثقافاتهم وانتماءاتهم بهذا الصراع، شاء فريق ذلك أم لم يشأ. هذه وقائع وليست مسائل سياسية. انها جزء من تاريخ لبنان وتكوينه.

كتاب الدكتور فيليب سالم، مثير للنقاش، ومثير للتساؤل. ولعل القارئ يجد متعة في معرفة مشكلات لبنان من رجل علم، وليس من رجل سياسة. من دون ان يعني ذلك، انه غير سياسي، بل ان سياسته ابداع فكره وثقافته وتربيته.

يبقى، ان في الكتاب لذة اكتشاف العلاقات الشخصية والسياسية والانسانية، مع رجالات لبنان الذين عاصرهم من أنطون سعاده إلى شارل مالك وغسان تويني وآخرين.

مدخل
حوار صحفي في كتاب

لم يكتفِ بعض الأطباء في بلاد الشام وبخاصة في لبنان، بمعالجة الأبدان، بل شملت معالجاتهم البلدان. ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر، درس البيروتي أسعد يعقوب الخياط الطب في الكلّية الملكية البريطانية، وعاد إلى لبنان، ليفتح مدرسة مختلطة، ويبثّ آراءه الوطنيّة بين أصدقائه كما هو بيّن في كتابه A voice from Lebanon حيث قال: «كانت مبادئي التي نشرتها ودعوت القوم لها تنحصر في نقاط أربع: 1 - انشاء المدارس الوطنية لتهذيب أبناء سورية وترقيتهم. 2 - تثقيف النساء وتربيتهن مع أصول أدبية. 3 - الاعتماد على الوطنيين لا الأجانب في نشر المعارف وتربية العقول. 4 - تعزيز فن الطب». أضاف «عصرنا ليس عصر عجائب، بل عصر عمل واستفادة. والوسائل التي استخدمها غيرنا من الشعوب والأمم وَسَمَتْ بهم، لا بد أن تسمو بنا. إذاً، لا بد من تهيئة عوامل وطنية لرفع شأن الوطن ولتعزيز مقامه، لا بد من إنشاء أساتذة وطنيين ومبشرين وطنيين وعمال وطنيين، إذا كان مرادنا ترقية الوطن». ولكن أسعد الخياط توقف عن حمل راية طب الأوطان لأنه اكتسب الجنسية البريطانية وأصبح قنصلاً للمملكة المتّحدة في يافا.

كان ذلك في ثلاثينات القرن التاسع عشر. وبعد أربعين سنة، برز من استأنف حمل الراية، وهو الدكتور شبلي شميّل ابن كفرشيما، الذي تخرج من الجامعة الأميركية، واشتهر بنهجه الفلسفي وأسلوبه السَّاخر. ولكنه قارب طب الأوطان من ناحيتين: الاشتراكية المرادفة للاجتماعيّة على حد تعبيره، والداروينيّة أو النشوء والارتقاء. ومن الناحية الثانية، تناول شميّل الطائفية بمنهج علماني إلحادي.

وكرّت المسبحة. فتمثّلت الحلقة الذهبيّة الثالثة في سلسلة أطباء الأبدان والبلدان بالدكتور خليل سعاده الذي دشّن نهضويته وعلمانيته قبل تخرجه من الكلية السّورية الانجيلية - الجامعة الاميركية في بيروت - في 1883. فقد نشر في العدد العاشر الصادر في تشرين الأول (اكتوبر) 1879 من مجلة «الجنان» لصاحبها رائد العلمانية عندنا المعلم بطرس البستاني، مقالاً بعنوان «تأخر بلادنا وتقدمها» حيث رد فيه تأخرّنا إلى خمسة عوامل أولها «انشقاقاتنا الداخلية» التي، إذا دامت، «تؤول إلى دمار بلادنا». واذا كانت أسباب الانشقاقات متعددة، فمنها بل أولها «انقسامنا إلى عصب دينية، وكل فريق يعضد عصبته ويروم تنكيس الأخرى. ولا يخفى ان أمراً كهذا يتلقنه الولد من أبيه، فيسري هذا الداء إلى الجميع ويعمّ بلاؤه كل قطرنا وتقع ويلاته على جميعنا، فنكون قد بحثنا عن حتفنا بظلفنا. فقد حللنا رباط الاتحاد، وفككنا قيود الالفة، ووضعنا بدلاً من الأول الانشقاق، وعوضاً عن الثاني العدوان. فأبشر أيها الوطن، إن دمت على هذه الحال، بالخراب العاجل والفقر المدقع».

نبقى في بيروت. بُعيد الاحتلال الفرنسي الذي دُعي تلطيفاً بـ«الانتداب» الذي حلّ مكان نظيره العثماني في العام 1920. تأسّس في «دولة لبنان الكبير» حزب علماني باسم «الاتحاد الديمقراطي» فانتخب مؤسّسوه هيئة ادارية من 15 نهضوياً وهم: «الدكتور حسن الأسير، داود نحول، بدر دمشقية[1]، الدكتور أسعد عفيش، خليل

كسيب[2]، جميل الحسامي، ميخائيل طراد، جميل بدران، محمد علي بيهم، أسعد خيرالله، أمين تقي الدين[3]، جرجي نقولا باز[4]، اسكندر البستاني، عارف كنفاني، وبولس الخولي»[5]. ثم انتخبت الهيئة الدكتور حسن الأسير[6] رئيساً للحزب، الذي تنص غايته على «النهوض بالوطن إلى مستوى الشعوب الراقية الحرة، وبث روح الاخاء بين أبناء البلاد على اختلاف منازعهم ونحلهم، وتوحيد كلمتهم، وانتخاب الأكفاء لتولي المصالح بقطع النظر عن الدين والمذهب». لذلك نص البند الثالث من دستور الحزب الذي ترأسه الطبيب الصيداوي النهضوي العلماني وشارك في تأسيسه، على «احترامه لجميع الأديان على السواء» وعدم اعترافه «لرجال الدين بأن ينتحلوا لأنفسهم حق تمثيل الشعب».

وفي أواخر عشرينات القرن الماضي، برز خالد الخطيب في الصفوف الأمامية لمناهضة الاحتلال الفرنسي وهو طبيب من مدينة حماه - سنّي المذهب، لمن ينفي وجود سنّة يعتقدون بفصل الدين عن الدولة - . وشمل جهاده، القيادة في الميدان والكلمة في المنابر والدوريات. وعلى سبيل المثال، نشر الدكتور الخطيب في «مجلة السيدات والرجال» عدد أيلول (سبتمبر) 1928، مقالاً بعنوان «الدّين والقومية» قال فيه: «يدعي البعض ان النعرة الدينية هي أحفظ لكيان الأمم وأبقى على سلامتها، وان الجامعة الدينية أمتن جامعة يلتف حولها الأقوام منشدين سعادة الحياة». أضاف مؤكّداً «اننا ضعفاء، فنحن إذاً بحاجة إلى القوة لكي نعيش آمنين. وما دمنا نفكر بأن نستمد قوتنا هذه من جامعة الدين، فإننا لا نزداد إلا تدهوراً في مزالق الضعف، وتمادياً في طغيان مبين. وما دام مُسلمُنا يرجو أن يستمد قوته في الحياة من الهندي أو الافغاني أو البخاري أو الفارسي المسلم، وما دام مسيحيُّنا يأمل أن يستمد تلك القوة من الافرنسي أو الانكليزي أو الأميركي المسيحي، فإن الضعف

سوف يبقى ملازما الاثنين أبد الآبدين ودهر الداهرين. وليس لهما ملجأ يعتمدان منه قوتهما إلا القومية. وليعبد كل منا ربه في معبده ولا يجعل لهذا صلة بذاك».

وفي الكورة الخضراء رفع أكثر من طبيب راية «الدين لله والوطن للجميع» وجاهد من أجل فصل زيت الدين عن صابون الدولة، وبخاصّة في العاصمة الكورانية أميون. ففي أواسط أربعينات القرن الماضي، اعتنق طالب الطب في الجامعة الأميركية عبدالله سعاده عقيدة أنطون سعاده نجل الطبيب العلماني خليل سعاده؛ ومع انه ابن رجل دين، فقد جاهر بعلمانيته التي لا تكتفي بعمومية فصل الدين عن الدولة، بل تدخل في التفاصيل، فتمنع رجال الدين من التدخّل في شؤون السّياسة والقضاء وشجونهما.

ومن المؤكّد ان الدكتور عبدالله كان أحجم عن اعتناق مبدأ فصل الدين عن الدولة، لو اقتضى من معتنقه الالحاد كما يدّعي دعاة الأنظمة الدينية أو التي يختلط فيها الدين بالسياسة والأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والإرث وغير ذلك. فقد سمعته اكثر من مرة يؤكّد على علمانيّته المجتمعية وايمانه الديني غير الطقوسي.

طبعاً، لم تحتكر أميون أطباء الأبدان والبلدان في كورة العلم والثقافة. فقد ظهر أطباء علمانيّون في أكثر من مدينة أو بلدة كورانية. ولنختم المقدمة بطبيب السّرطان الشهير في العالم فيليب سالم الذي وُلد في بطرام، ودرس الطب في الجامعة الأميركية البيروتية، وهاجر إلى الولايات المتحدة حيث يدير مركز الأبحاث السرطانية في مستشفى سانت لوك - هيوستن، ويرئس مركز سالم لمعالجة الامراض السرطانية في هيوستن أيضاً. ولكن هجرته وترؤسه لورشتين طبيتين، لم يمنعاه من القيام بثلاث زيارات دورية كل عام لبطرام ولبنان، حيث يدير عبر الشاشات الصغيرة واللقاءات الكثيفة

ورشة طبيّة ثالثة، ولكن لمعالجة الأمراض السياسيّة والاجتماعيّة والتربويّة، ومنها سرطان الطائفية. وهذه الورشة شملت أيضاً دنيا الاغتراب أو «الانتشار» وهو المصطلح الذي يرغب سالم وآخرون في تداوله.

تحت عنوان «أزمة الجامعة ومستقبل لبنان» ألقى الدكتور فيليب محاضرة في كلية بيروت الجامعية في حزيران 1993 شخّص فيها عدة أمراض سياسية واجتماعيّة وتربوية - تعليمية في لبنان، وحدّد العلاج.

أكّد في البداية «ان قضية الجامعة مرتبطة عضوياً بماهية لبنان وبمستقبله ومصيره». وسأل الحضور: «تريدون إنساناً جديداً ولبناناً جديداً»؟ وأجاب عنهم «فلنقم بالثورة الحقيقية الوحيدة القادرة على خلق عقل جديد: الاطاحة بفلسفة تربوية تخنق جامعاتنا ومؤسّساتنا التعليمية وإنشاء فلسفة جديدة ذات رؤيا جديدة». واستدرك متسائلاً: «لكن الجامعة في لبنان هي ذاتها في أزمة، فكيف تقوم الثورة من حرمها»؟ وعلى ضوء منهجه بعدم الاكتفاء بطرح الأسئلة، أجاب: بـ «الحرية الأكاديمية». ولأن العلاج التربوي الذي يصفه ناجم عن تجربته الطبية، فقد روى الحادثة التالية: «ذات يوم، عندما كنت طالباً في السنة الرابعة في كلية الطب في الجامعة الأميركية - بيروت، أُدخل مريض إلى المستشفى لإجراء عملية في اليوم التالي، وكان طالب الطب المسؤول عن هذا المريض صديقي. جاء يشكو إليّ: «لا أجد سبباً واحداً لإجراء هذه العملية. طالعت جميع المراجع ذات العلاقة بالموضوع، وأنا حائر: إذا جاهرت سيغضب مني الأستاذ الجرّاح المكلّف بإجراء العملية غداً، وإن لم أجاهر أشعر بأنني كاذب وممالق، فما رأيك؟ شجّعته على التعبير عن رأيه بكل حرية وبكل احترام، وبتدوين رأيه في سجل

المريض. وهكذا كان رأيه الذي أسنده بالحجج العلمية». أضاف: «قرأ الأستاذ الجرّاح ما كتبه صديقي في سجل المريض، فاغتاظ ونزع الورقة ومزّقها والتفت إلى صديقي قائلاً: «من تعتقد أنك تكون كي تجرؤ أن تعطي رأياً مخالفاً رأيي؟ أنت تلميذ أرعن. لا أسمح لك بمعاودة العمل قبل شهر كامل. وخرج الطالب مغلوباً على أمره كألوف الطلاب المغلوبين على أمرهم في بلادنا، وخرجتُ معه تضامناً، وذهبنا نشكو الأمر للدكتور جون ولسون، وكان عميد كلية الطب، فلم يصدّق قصتنا حتى اتصل بالاستاذ الجراح واستدعاه إلى مكتبه في حضورنا. استمع إليه بهدوء واحترام كما استمع الينا. وعندما تأكد من روايتنا طلب منا بلطف الخروج من مكتبه. لم نعرف ماذا قال للجرّاح، لكنه طلب من صديقي مواصلة عمله، وطلب من الجراح وقف القيام بعمليات جراحية لمدة شهر».

شكلّت الحادثة لطالب الطب فيليب سالم «أول تجربة مع حضارة الغرب العلمية» التي عبّر عنها عميد كلية الطب الدكتور ولسون. وأكدت له، في الوقت نفسه، حقيقة الواقع المؤلم للتعليم الجامعي في لبنان حيث يخاف الطالب أستاذه ويمالقه، ويخاف الأستاذ عميده ويمالقه أيضاً، وكذلك هو حال العميد مع رئيسه، من هنا سرّ فشل الجامعة في «صنع رجال ونساء قادرين على القيام بعملية التغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي التي تحتاجها بلادنا». ويضيف في مكان آخر من محاضرة «ازمة الجامعة ومستقبل لبنان» ان «المطالبة بالحرية الأكاديمية تقودنا إلى المطالبة باستقلالية الجامعة التي يجب أن تبقى مؤسّسة مستقلة عن النظام السياسي». فهل يشمل التغيير السياسي والاجتماعي الذي يجب أن تقوم به الجامعة، الطائفية ودواء العلمانية؟

في كلمته «بعد التسوية السلمية يبقى لبنان، أم يزول» التي

ألقاها في «مركز الحوار العربي» بواشنطن أكد البروفيسور سالم ان «لبنان قادر على بناء دولة عصرية علمانية بثروته الانسانية الابداعية المنتشرة في العالم». وفي حين اطمأن إلى بقاء «لبنان الجغرافيا» و«لبنان السياحة»، أبدى تخوفه من زوال «لبنان الكيان الحضاري المميّز في الشرق» إذا لم «يجترح اللبنانيون أعجوبة بحجم تاريخهم وتراثهم». ومن علامات الاعجوبة «أن ينشئ لبنان دولة عصرية علمانية يحترمها العالم، يتلاقى فيها العلم مع الحكم، ويشهد فيها الشعب اللبناني مثقفين في الحكم لا يفخرون بارتهانهم إلى الخارج». كذلك، يقتضي ان تشمل الاعجوبة اللبنانيين من مقيمين ومغتربين «التعايش بين المسيحية والاسلام» أو «التلاقي الفريد بين المسيحية والاسلام». ذلك ان «عظمة لبنان في تراثه المشرقي المسيحي - الاسلامي، وزواله بزوال هذا التعانق بين المسيحية والاسلام».

وتحت عنوان «يجب تحرير الدين من الدولة والدولة من الدين» ألقى البروفيسور سالم محاضرة بتاريخ 2 حزيران (يونيو) 2007 في قاعة كنزنغتون تاون اللندنية بدعوة من جمعية الصداقة البريطانية - اللبنانية، أكد في مستهلها ان «المسيحية تعانق الاسلام» في لبنان «وعيش التفاعل الحي المتراكم منذ مئات السنين بين المسيحيين والمسلمين». أضاف نافياً حدوث حروب أهلية طائفية بين اللبنانيين، بدليل انه «في الدقيقة التي صمت فيها الرصاص، عانق المسلم أخاه المسيحي، وعاد التفاعل الخلاق بينهما، كأن الحرب لم تكن». وقال، بعد أن انتقل من لبنان إلى محيطه المشرقي «أخطر ما يمكن أن يحدث في المشرق العربي أن تتمكن ايديولوجيات دينية متطرفة أن تفرض ايديولوجياتها على هذا المشرق. عند ذلك ستموت الحرية».

أضاف منوهاً بالحل في لبنان وملمّحاً إلى آلية تنفيذه: «يجب ان نحرر الدين من الدولة، ونحرر الدولة من الدين، وأهم من ذلك كله أن نحرر التربية من الدين». أكثر من ذلك، فالتحدي الكبير لديه هو الجواب على السؤال الكبير: «كيف يرتقي الانسان فوق الدين والإيديولوجيا والسياسة إلى الانسانية»؟ ويجيب «ان الدين، من المسيحية إلى الاسلام، إلى اليهودية وغيرها من الديانات، قد استُعمِلت في الماضي وفي الحاضر الحديث، كأداة سياسية للتفرقة بين الناس. لقد آن الأوان لاحترام الدين وتحريره من السياسة. ان الدين يجب أن يكون كنزاً حضارياً نستعمله للارتقاء إلى فوق، ولا نستعمله للانحدار إلى تحت. كثيرون يدّعون انهم أقرب إلى الله بواسطة دينهم. أما أنا فأقول اننا نكون أقرب إلى الله بقدر ما نرتقي إلى إنسانيتنا فوق الدين والايديولوجيا». وعن مسيحيي الشرق والأمنيات والتحديات التي تواجههم، ألقى طبيب الأبدان كلمة، في «مؤتمر الدفاع عن المسيحيين» الذي عقد في 9 أيلول (سبتمبر) 2014 في واشنطن، أكد في مستهلها ان «الاعتداء الأخير الذي شنته «الدولة الاسلامية في العراق والشام» (داعش) على مسيحيي الموصل في العراق، لا يشكل اعتداء على المسيحيين فحسب، بل على الحضارة ككل». واستدرك قائلاً: «ولو فعل المسيحيون المتطرفون ما فعله هؤلاء الاسلاميون الجهاديون، لكنت اتخذت الموقف نفسه».

وفي البند الثاني من باب «ان الوجود المسيحي في الشرق الأوسط مهم» قال: ان المسيحيين كانوا «من أبرز مبتكري المفهومين الأساسيين: الوطنية وفصل الدين عن الدولة». أضاف: «أعرف ان لدى المسلمين تحفظات على مفهوم فصل الدين عن الدولة، إلا ان بلداناً مسلمة مهمة مثل أندونيسيا وماليزيا وتركيا نجحت في تحقيق هذا الفصل».

وكمسيحي علماني لبناني رفض محاربة «التطرف في الاسلام بالتطرف في المسيحية» قال بحزم: «لا نريد إخواناً مسيحيين يواجهون الاخوان المسلمين. أنا مسيحي، لكنني أعتبر كل انسان في العالم أخاً وأختاً لي، والانسانية جمعاء أسرتي». وفي حين يرفض الاختيار بين الدكتاتورية السياسية والتطرف الديني، ينادي بـ «الثورة» لأنها مفتاح تحقيق هدفين كبيرين: فصل الدين عن الدولة، ودولة مدنية.

ويميّز سالم لبنان عن محيطه بأربعة أشياء هامة: «انه نموذج التعايش الديني، ونموذج التعايش الثقافي، وضابط الارتباط بين الشرق والغرب، والبلد الوحيد في الشرق الأوسط الذي لا ينصّ دستوره على دين الدولة».

ويعود إلى النظام التربوي في العالم العربي، ليلاحظ انه «كارثي بسبب تركيزه على التعليم الديني وحده. والكارثة تتمثل في ما نشهده اليوم من ثقافة قائمة على التطرف والعنف».

وتحت عنوانَيْ «الانتشار اللبناني في العالم» و«لبنان الذي لا تغيب عنه الشمس» ألقى فيليب سالم في مؤتمر الطاقة الاغترابية في بيروت بتاريخ 21 أيار (مايو) 2015، كلمة امتزجت فيها العقلانية بالرومنسية ضمّنها النداء التالي إلى اللبنانيين المقيمين والمغتربين أو المنتشرين على حد تعبيره: «تعالوا نرتفع عن صغائر تُفرّقنا وطوائف تُحدّدنا، إلى مستوى وطن يليق بنا؛ ولنعبر من طائفية كانت سبب تخلفنا، إلى وطنية تكون سبب تقدمنا».

ما تقدم، عيّنة من الآراء المختصرة في الطائفية والعلمانية، أبداها الدكتور فيليب بـ «المفرّق» في محاضراته ومداخلاته ومقابلاته التلفزيونية. لقد صدرت كتب ومقالات عنه، وأجريت مقابلات

صحافية وتلفزيونية معه، وجميعها تمحورت على فيليب سالم مدير مركز الابحاث السرطانية في مستشفى سانت لوك - هيوستن، ورئيس مركز سالم لأبحاث السرطان في هيوستن أيضاً، وعضو الجمعية الأميركية لعلم الأورام، والجمعية الأميركية للأبحاث السرطانية، الذي كان عضواً في لجنة استشارية للرئيس الاميركي للشؤون الصحية (member of an advisery committee on health issues) خلال عهود الرؤساء بوش الأب والابن وكلينتون.

وفي بعض المقابلات التلفزيونية والمداخلات المنبرية، كانت تُطرح بعض الأسئلة والأجوبة على هامش الموضوع الطبي الرئيسي، متناولة النواحي الوطنية والاجتماعية والتربوية - التعليمية، إضافة إلى داء السّرطان المجتمعي والدواء المعهود والمختصر بالكلمات الأربع: «فصل الدين عن الدولة».

في أكثر من بحث أو حديث عن سرطان الأفراد، أصر البروفسور فيليب على أهمية تشخيص المرض لأنه يساعد في تحديد العلاج، وبالتالي إلى شفاء المريض. ولكنه في تطرّقه لسرطان المجتمعات، وقد أوردت عيّنة من ذلك، لم يشخّص مكمن هذا الداء وطبيعته، خصوصاً في المجتمع اللبناني الذي يوليه الاهتمام الرئيسي، لذلك كان الدواء تعميمياً، ولكن تكرار الكلام عن الموضوع، وشموله أكثر من ناحية أساسية فيه، فضلاً عن عمق المضمون، قد شجعني على إجراء مقابلة صحافية معه، حصرت كل أسئلتها والأجوبة عليها في اطار داء الطائفية ودواء العلمانية. ونشرت المقابلة في جريدة «النهار» البيروتية بتاريخ 6 نيسان 2016 تحت المانشيت الماراتونية التي نحتها الزميل عقل العويط على النحو التالي: «طبيب السرطان فيليب سالم يتحدث عن سرطان الطائفية .. أخوض بحر العلمانية من منطلق الإيمان المعرفي بالخالق».

كان للحوار القصير الذي احتل أكثر من نصف صفحة في دورية يومية، صدى طيّب لدى القراء. وهو ما دفعني للانتقال من حيّز المقابلة الصحفية المحدودة بعدد كلماتها، إلى رحاب حوار طويل ينشر في كتاب مفتوح الصفحات والكلمات. هنا، تهيبت المشروع لأن المقابلة الصحفيّة تختلف عن فصول الكتاب من ناحية الحجم. صحيح ان عبارات الحكيم مكثفة وشاملة، ولكن تجميعها وتحليلها وتقييمها، قد يفضي إلى دراسة تنشر في مجلة شهرية أو فصلية. وهنا أيضاً يمكن القول أن حجم الدراسة يتناسب مع دورية لا كتاب.

وهكذا، بدأت الحوار بجلستين طويلتين في أوتيل «روتانا جفينور» في بيروت.. ولم أختمه بجلستين غير قصيرتين في منزله في بطرام - الكورة.

بعد الحوار، طرأ تعديل على تصنيفي للدكتور سالم في لائحة أطباء الأوطان.. وعلى المطبوعة التي سأضمنها أجوبته على الأسئلة المتمحورة على سرطان الطائفية في لبنان. فإذا كان لكل طبيب خصوصيته ومنهجه، فتشخيص الدكتور سالم لسرطان الطائفية لم يختلف، بخطوطه العريضة، عن التشخيص الذي رسمه كل نظرائه الذين درسوا قبله طب الأبدان ومارسوا طب البلدان. ولكن الاختلاف يكمن في العلاج. ففي حين أجمع الآخرون على ان الأحزاب والدساتير العلمانية هي الأداة الرئيسية للقضاء على الطائفية.. أكد الدكتور سالم ان الجامعات هي تلك الأداة الرئيسية عبر نهجها التربوي، شرط أن تكون علمية ووطنية.

أما في الشكل، على لغة المحامين، فسيكون الحوار بأسئلته وأجوبته هو الصيغة التي انتقل بواسطتها تشخيص السرطان

الطائفي وتعيين الدواء الشافي منه، ومحوره التربية الأكاديمية. وسيصدر الحوار الماراتوني في كتاب، وليس في دورية. وما يشجع على ذلك، أن الكتاب - الحوار، لم يعد عندنا بدعة. فقد ظهرت في الآونة الأخيرة في بيروت، عدة كتب حواريّة، تمحورت أسئلتها وأجوبتها على السياسة والفكر والأدب والاقتصاد والفن والاجتماع. واشتهر في هذا اللون الزميل والباحث صقر أبو فخر الذي أصدر عدة كتب حاور من غلافها إلى غلافها بعض المفكرين والسياسيين والكتّاب أمثال كمال الصليبي، وأنيس النقاش، وعزمي بشارة، وجورج حبش. ويكمن سرّ رواج هذا النوع من الكتب، في اللغة الصحافية الواضحة البعيدة عن قاموسية اللغة الأكاديمية، إضافة إلى خلوها من أطنان المراجع التي يصرّ معظم دكاترة الجامعات على حشرها في لائحة مراجع الدراسة، مع ان معظمها هامشي ديكوري.

تبقى الملاحظات الأربع التالية:

أ - جرى هذا الحوار، كما أسلفت، على مرحلتين، أولى في رأس بيروت، فندق جفينور، وثانية في الكورة، بطرام، منزل الدكتور فيليب سالم. ولما كان التكرار من طبيعة الحوار، فقد حذفت بعضه، وأبقيت على البعض الآخر لسببين: لأنه مرتبط، من جهة؛ بإضافات أساسية، ومن جهة أخرى قُصد منه التأكيد على نواحٍ جوهرية.

ب - بدأ الحوار منذ ثلاث سنين، وتناولت بعض الأسئلة تنظيمات كانت في ذروة نشاطها مثل «داعش، وقانون النسبية الانتخابي قبيل إقراره. وقد أبقيت على تلك الأسئلة - الأجوبة، لأن موضوعها لم يتغير، ولكنه «تطور» نحو الأسوأ.

ج - يميز الدكتور سالم بين «العلمانية» و«فصل الدين عن الدولة»، حيث أكّد على تمييزه في أكثر من جواب. ولأني لا أميز بينهما، فقد استمررت بطرح المصطلحين وكأنهما مرادفان لمعنى واحد، في حين استمرّ الدكتور في التأكيد على الفارق الكبير بينهما.

د - لقد كان لبعض رواد نهضتنا العلمانيين حضور في الحوار، فمن المفيد أن يملأ حضورهم فراغ الصفحات البيضاء، عبر ثلاث لمعات لكل منهم.

هـ - يقتضي قراءة هذا الكتاب، على أساس أنه حوار صَحَفي طويل حول سرطان الطائفية والعلمانية، وليس بحثاً علمياً يشخّص هذا الداء ويصف الدواء بمنهج أكاديمي.

جان دايه

1 - رئيس بلدية بيروت، وزوج الصحفية والأديبة جوليا طعمة.
2 - نقيب الصحافة اللبنانية الأسبق.
3 - شاعر ونائب، عم سعيد تقي الدين.
4 - نصير المرأة، ومنشئ مجلة «الحسناء» عام 1909.
5 - رئيس الدائرة العربية في الجامعة الأميركية.
6 - نجل الشيخ يوسف الأسير الذي درّس في «المدرسة الوطنية» لصاحبها المعلّم بطرس البستاني.

ثلاث لمعات

الدين ما يدين به الفرد لا ما يدين به الجمع.

❖

إذا لم نميّز بين الدولة والدين، بل طلبنا من الدين مساعدة الدولة، ومن الدولة مساعدة الدين، بناءً على أن كلاً منهما لا يقوم إلا بالآخر، فماذا نفعل لو سقطت الدولة؟ أيسقط معها الدين الذي كنا نقول انها حاميته وانه قائم بقيامها؟

❖

هل يُجمع بين سلطتين أو ثلاث في شخص واحد؟ أم تخصص كل وظيفة من السياسة والدين والتعليم بمن يقوم بها بإتقان؟ لا اتقان إلا بالاختصاص، وفي الاختصاص كما جاء في الحكمة القرآنية: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾. لذلك لا يجوز الجمع منعاً لاستفحال السلطة.

عبد الرحمن الكواكبي

الجزء الأول

هذا نهجي

س - لقد حفظ قراؤك عن ظهر قلب نهجك في معالجة سرطان الانسان - الفرد، الذي حدّدته في الكتب الصادرة لك وعنك وعبر المقابلات التي أجريت معك في الدوريات والفضائيات. ولكن القراء لا يعرفون شيئاً عن نهجك في معالجة سرطان الانسان - المجتمع، فهلاّ حددت نهجك في معالجته في مستهل هذا الحوار الطويل الذي يستغرق كل صفحات الكتاب، ويتمحور حول مرض الطائفية والمذهبية؟

ج - هناك كثر نظروا إلى هذا الموضوع من زاوية الإلحاد. أنا أدخل هذا الموضوع من زاوية الإيمان العميق. صعب أن يكون هناك شخص مؤمن بالخالق بغض النظر من هو الخالق. أنا درست الإنسان والجسد، وكما قال ابن سينا لقد درست الطب لأفهم الله، ألم يخلق الله الإنسان على صورته؟

أنا من الناس المؤمنين بقوة بوجود الله، ولا أدخل هذا الموضوع - فصل الدين عن الدولة - من منطلق الإلحاد، بل على العكس أدخله من منطلق الإيمان العميق المبني على المعرفة. هناك إيمانان،

الإيمان المطلق المبني على التسليم، والإيمان المبني على المعرفة.

ما أريد قوله إني أريد التشديد على النقاط التي تركز على قيام الدولة المدنية التي لا تقوم إلا إذا كان هناك فصل بين الدين والدولة، لأنه في الدولة المدنية الناس متساوون في الحقوق والواجبات. والنقطة الأهم هي تحرير الدين. أنظر ماذا حصل في الدين الاسلامي حيث أن الترابط بين السياسة والدين أدى إلى نشوء داعش. ولا أظن أنه في تاريخ الاسلام، منذ نشأته حتى يومنا هذا، تعرض الدين لمثل النكسة مثل التي تراها اليوم عبر الظهور الداعشي المسلح و«النصرة» وغيرهما. الوحيد المتضرر هو الدين الإسلامي من كل هذه الظواهر. الضرر ليس على المسيحيين في الغرب. فهؤلاء الجماعات قتلوا المسلمين أولاً، وشوهوا الدين الاسلامي في العالم. نحن كمسيحيين لسنا الضحايا الحقيقيين. الضحية الأولى لداعش هو الاسلام حيث أن صورته بدت متوحشة في العالم الذي بات يرفضه. في السابق كان الرفض للإرهاب وليس للإسلام. أما اليوم فالرفض للإسلام.

التداخل بين السياسة والدين أضر الأخير كثيراً. الدين يجب أن يكون في منأى عن كل ما يحيط به كي يرفع الانسان إلى فوق. تحرير الدين من السياسة قضية مهمة رغم أن ردة الفعل الأولى على هذا الطرح تأتي من المسلمين أنفسهم.

هذا الفصل هو بالدرجة الأولى لتحرير الدين، وثانياً لتحرير الانسان الذي هو أهم شيء في الكون. وبدونه، لا وجود لله ولا للدين ولا للدولة. ذلك ان التداخل بين الدين والدولة يؤذي الانسان. فالدولة لديها التعليم والتربية. وأنا أرفع شعاراً يقول إن فصل الدين عن الدولة يتلازم مع مسار آخر هو فصل الدين عن التربية. حين تفصل الدين عن الدولة فأنت تحرر الدولة لناحية التعليم.

عليك أن تحرر التعليم من الدين، لأن كل شخص يعمل على إيصال الصورة التي تناسبه، ويفسرها كما يشاء، حتى لو كانت متصلة بالدين. إن سوء إيصال الصورة الحقيقية للدين هو الذي أوصلنا إلى «داعش». المدارس الدينية المتزمتة التي تحضّ على التعصب، وصولاً إلى الارهاب الديني والفكري والاجتماعي، هي التي أوصلتنا إلى تكريس الوجود الداعشي. فهي أنشأت أجيالاً على فكرة كره كل من يختلف معها وعلى التطرف الديني.

إن أهم ثورة في العالم هي التربية. والتربية ليست إرسال المعرفة وحسب. بل هي نوع من تجديد للعقل ليصبح الانسان جديداً. لماذا لم تشهد المجتمعات العربية أي تغيير؟ ببساطة لأن فلسفة التعليم فيها هي فلسفة نقل المعرفة من الاستاذ إلى الطالب. لذلك لم تتمكن النخبة في العالم من تغيير المجتمع العربي. لأن النخبة بحد ذاتها لا تقبل فكرة التغيير، وبقيت على تقليديتها في التعاطي مع الآخرين. العلم في هذه المجتمعات عبارة عن طلاء خارجي. والطالب منذ صغره لم يعتد أبداً على مناقشة أستاذه، بغياب أي تدريب للعقل.

حين بدأت في التعليم سعيت إلى تدريب طلابي على النقاش وعدم تقبل كل شيء دون أي تفكير. علّمتهم أن يكونوا أحراراً في تلقي المعلومة والبحث والسؤال والاستفسار والاعتراض. التربية قضية كبرى، والحرية فيها أمر جوهري. وأين نجد الحرية في التربية؟ حين كنت تلميذاً للطب في سنتي الثالثة، أذكر أني سألت استاذي كيف يمكن أن تكون الخلايا طبيعية وسليمة والمريض مصاب باللوكيميا؟ إن الخلايا، وإن ظهرت لنا سليمة، علينا أن لا نثق بما نراه، فقد تكون مريضة. كلفني ذلك طردي من القاعة لأنني تحديت

كلامه. ولا ألومه لأن المناخ التعليمي كان على هذا النحو، ولم يزل كذلك حتى الآن.

أكرر: أهم شيء لبناء وطن يقوم على التربية وتحرير العقل وصنع انسان جديد. أنا وجّهت طالباً في الجامعة كان يرفض دراسة الطب، وقمت بتحفيزه لمحبة الطب. واليوم هو أستاذ في أكبر جامعة في العالم. العقل هو أهم عنصر في الإنسان، وعلينا مخاطبته وتحفيزه فيما الشرق يعدم العقل والمعرفة.

حين كنت في الجامعة لمدة 15 سنة كتبت مقالات غيّرت مجرى البحث العلمي في العالم. ولكن للأسف هذه المقالات لم يقرأها أي زميل أو استاذ أو عميد أو رئيس دائرة في الجامعة الاميركية ببيروت. ولم يأتِ أي رئيس دائرة خلال فترة تواجدي في الجامعة ليسأل ما هي الأبحاث التي تقدمت بها. العرب شددوا كثيراً على البلاغة والإنشاء واللغة، واليوم آن الأوان لتحرير الفرد وحفز الطالب على النقاش مع أستاذه، بحرية وأدب. مهمة التعليم ليست نقل المعرفة من الاستاذ إلى الطالب، بل هي عملية تحفيز العقل عند الطالب لصنع عقل جديد، وبالتالي صنع إنسان جديد، وهذا أمر في غاية الأهمية.

انا أتكلم معك ليس تسويقاً لشخصي. أنت تعلم بأنني شخصياً معروف، ولم أعد أريد من العالم أي شيء. عندما تذهب إلى أي مكان في العالم وتتكلم على السرطان، فوراً يذكرون إسمي. اصبح اسمي كبيراً جداً. لأنني أجريت أبحاثاً كثيرة غيّرت مجرى الابحاث العالمية كلها. انا لا انتظر ان يصدر كتاب في لبنان وباللغة العربية ليسوّق To promote لشخصي. بل انتظر أن يسوق لفكري. ان الافكار التي طرحتها هي المهمة لأنها مفيدة.

س - أليس من الصعوبة بمكان الفصل بين الفكر والشخص؟

ج - صعب جداً. لكن أنا أريدك ان تعرف حتى تنظر إلى هذه المادة من هذه الناحية. إني لست بصدد أن يقال عن فكري إنه عظيم. كلا. أنا بصدد أن تأخذ هذه المادة وتتكلم عنها وتنتقدها اذا أردت.

س - وانا أيضاً منهجي نقدي لا مدحي، وعلى ضوء المنهج النقدي أطرح أسئلتي.

ج - وأنا اريدك ناقداً للفكر. وأن تستبعد الشخصي. يمكنك ان تختلف معي بأي دقيقة. يمكنك ان تقول أنا أختلف معه بهذا الرأي. أنا لا أريد كتاباً بهذا الشكل. اريد كتاباً يسوّق فكراً. أنت أيضاً يمكنك ان تضع أفكارك وكل ما تريد. لكن ليكن مركز الاهتمام هو الفكر وليس الشخص.

س - قد ترد بعض أفكاري وأفكار غيري من خلال الأسئلة المطروحة. ولكن الكتاب هو منصّة لفكرك حول فصل الدين عن الدولة؟

ج - يجب أن تعرض أولاً لماذا انا أهتم بهذا الموضوع؟ ولماذا لم أطلب أن نتكلم عن أمور اخرى؟ أنا اعتبر ان هذه المشكلة هي أهم وأخطر مشكلة في الشرق. إذا لم نستطع الآن أن نحلها، فعلينا أن ننشط دائماً كي لا نيأس من حلّها.

س - قدمت لنفسك ونهجك في مستهل حوار بيروت، فهل ترغب في تقديم اضافي في مستهل حوار بطرام؟

ج - هناك ناحية أرغب في الاضاءة عليها كي تعرف شخصيتي. يعني، أنا اختلف عن كثير من الكتّاب بمعنى أنه ليس عندي اهتمام

بشخصي. الشخصي عند بعض الفلاسفة والمفكرين في لبنان
والمنطقة قد يكون بالغ الأهمية. أنا أقرب إلى أنطون سعاده من
هذه الناحية. هل قرأت المقالة التي كتبتها عن أنطون سعاده؟ كان
يهمه كثيراً فكره. أنا يهمني فكري، وليس فيليب سالم! والفرق
كبير. لست بصدد تحقيق تسويق (promotion) لشخصي بقدر ما
عندي اهتمام بنشر فكري. وفكري ليس مطلقاً، كما فكر شارل
مالك. فكري آتٍ من تجربة عميقة مع الانسان مع الحياة مع المرض.
ونابع من خبرةٍ تعلّمك اكبر فلسفة في الدنيا. لأنها قريبة كثيراً من
الحياة ومعنى الحياة والامور الاساسية. وأيضاً هناك اختلاف كبير
بيني وبين كثير من الأدباء، بالاخص جبران. انا ملتزم بفكري مثل ما
كان أنطون سعاده ملتزماً بفكره. أنا لا أقول كلاماً لا أعمله. جبران
لم يكن التزامه بفكره صلباً. جبران هو الأديب المفضّل عندي وأنا
أحترم وأقدّر ادبه. ولكنه لم يكن صادقاً مع اصحابه واصدقائه
وبالنسبة لعلاقاته، هو قال لماري هاسكل ان أباه جاء من الهند وكان
فقيراً، وأشياء أخرى. أنا صادق في كلامي وملتزم بما أقوله. لذلك
أنا كتبت المقالة عن أنطون سعاده، لانه شخص قريب جداً مني،
رغم اختلافي معه في الشق السياسي كما ذكرت في مقالتي عنه.
ولكن، أنا عندي احترام كبير للإنسان الذي يحترم فكره ويلتزم به.
المفكر الوحيد في هذا الشرق الذي مات من أجل فكره هو أنطون
سعاده. خلال المفاوضات معه، طلبوا منه أن يتراجع، مقابل عدم
قتله، ورفض. قال لهم: لا اريد أن أموت مرتين، أنا أريد أن أموت
مرة واحدة. إذاً لم يأت مفكر غيره في هذا الشرق يفضل الموت
على تغيير فكره. مفكرون آخرون غيّروا 20 مرة كي يعيشوا! وحده
أنطون سعاده الذي قبل أن يموت ولم يقبل تغيير فكره، لذلك كتبت
المقال عن هذا الرجل الكبير، ولم اكتبه كرمى عيون القوميين ولا
لأُسعد أحداً في العالم. أنا لا أقول شيئاً للاستهلاك، أنا أحكي ما

اعتقده الحقيقة، ولا أصر على أنها الحقيقة المطلقة، على الأقل
أقول رأيي وألتزم به. ولكن، اذا اقتنعت أن رأيي خطأ، فوراً أتراجع
عنه. أنا ابن علم، ليس لدي قناعات لا تتغير. اذا استطعتَ اقناعي
بشيء مختلف، أغيّر رأيي فوراً. فإني قرأت جبران كثيراً وقرأت
سعيد تقي الدين، وكثيرين من الأدباء والمفكرين العرب. بشكل عام
كان لدي ملاحظات كثيرة عليهم لجهة عدم التزامهم بالكلمة. خذ
مثلاً محمد حسنين هيكل، وهو المفكر، استخدم فكره لتسويق فكر
عبد الناصر، ووافق على الأمن المخابراتي وتسطيح الناس، بينما
نحن كمفكرين هدفنا كرامة الانسان. فعندما يستزلم المفكر لحاكم
ويوافقه على نهجه غير الانساني، يجب محاكمته ومعاقبته. أنا
أحترم عبد الناصر لأنه قام بأشياء كثيرة وقد تكون كبيرة. ولكن
لا نستطيع أن ننسى انه أول من بدأ الامن بواسطة المخابرات، هو
أول حاكم سطّح الشعوب، هو أول من بدأ الثورات الدموية التي
لا معنى لها على الاطلاق، سوى تخريب الشرق، يجب أن نقول
الحقيقة، ولا نكذب على أنفسنا، أنا لا أؤمن بمفكر مثل محمد
حسنين هيكل، انه خائن لقضية الفكر. أنطون سعاده كان يمكن أن
ينتخب رئيس جمهورية في لبنان، لو تراجع وساوم. لكنه لم يفعل،
لم يفعل (he didn't he didn't). وسرّ عظمته أنه احترم فكره. وليس
في الشرق أحد احترم فكره، أكثر من أنطون سعاده. أنا لا أقول
هذا الكلام لأنكَ انتَ قومي، أنا أقول ما أؤمن به، وضمنته مقالة
منشورة. أنا رجل أؤمن بأن المفكر يجب أن يقول الحقيقة، ويلتزم
بفكره، ولا يغيّر كل يوم رأيه ليداري الناس. كذلك لا أؤمن بأن
المفكر يجب أن ينصاع للسلطة أو للناس أو للشهرة.

Riyad Nassar Library

ثلاث لمعات

ليس الدين في شرعي تعاليم ووصايا وتقاليد، بل هو عاطفة نفسية تحوّل نثر البسطاء إلى شعر، وتمزج مرارة أيامهم ولياليهم بقليل من الحلاوة.

❖

ويل لأمة تتصرف عن الدين إلى المذهب، وعن الحقل إلى الزقاق، وعن الحكمة إلى المنطق.

❖

أقربنا إلى الله، أقربنا إلى الناس.

جبران خليل جبران

الجزء الثاني

فصل الدين عن الدولة

الأحوال الشخصية وتعدد الزوجات

س - هناك ناحية ثانية في موضوع فصل الدين عن الدولة يجمع عليها الاصلاحيون السياسيون والمفكرون وعلماء الاجتماع والفلاسفة، وهي تتعلق بالأحوال الشخصية وبما يختص بموضوع الزواج والإرث وغيرها، بمعنى أنه إذا بقيت هذه الأمور تابعة لكل طائفة كما هو الحال في لبنان، سيبقى المجتمع منقسماً. ألا تعتبر أن موضوع الأحوال الشخصية يتطلب معالجة أساسية؟

ج - أكيد، أنا أقول إن فصل الدين عن الدولة يجب أن يتم تدريجياً، ولا أؤمن بأن الأمور تتم كلها بشكل سريع وغير مدروس، والعنصر الأهم هو بقاء الاحترام تجاه الدين. إذا كان الدين الاسلامي يسمح بزواج الرجل من أربعة نساء، لا يمكننا أن نقول له فجأة أن هذا الأمر غير مقبول لأننا دولة مدنية. إن اعطاء المبادرة للدولة المدنية والحد من سطوة رجال الدين، لا يعني الاعتداء على جوهر الدين.

أنا لا أملك جواباً عن السؤال حول هذه التفاصيل. لكن نظرتي

LAU Riyad Nassar Library

للأمور أن الأحوال الشخصية يجب أن تعود للدولة. ولكن يبقى هناك مبدأ احترام الدين، ولا يمكنك التعدي عليه، لأنه في المقابل سيعتدي عليك. يجب أن تمنح رجال الدين حقهم، ولا يمكنك أن تقول لرجل الدين المسلم ممنوع عليك أن تتزوج وفقاً لما يقول لك دينك. هذا حقهم. ولكن تجربة فصل الدين عن الدولة نجحت في تركيا وفي إندونيسيا وهي أكبر دولة إسلامية. وهناك أنواع عديدة من فصل الدين عن الدولة، وعلينا أن نطبق النوع الذي يناسب حضارتنا. ولكني أؤمن أيضاً بالدولة المدنية. ولكن هذا الشيء يجب أن يقترن بالحكمة أولاً.

س - اعتبرت أن تعدد الزوجات في النظام العلماني هو اعتداء على جوهر الدين. في حين أن النبي العربي الذي يطالب الرجل بالعدل بين زوجاته، يشكك في امكانية حصول ذلك بقوله و«اذا لم تعدلوا فواحدة».

ج - الذي أقوله: أن المطلوب هو فصل الدين عن الدولة. لكن هناك أمور شخصية، مثل تعدد الزوجات. أنا أحترم ما جاء في الدين الاسلامي عن هذا الموضوع. لا يمكن تغيير أشياء لها علاقة بالشكل، لكن ليس لها علاقة بالدولة وعملها، في الأمور المهمة بالنسبة للدين وفصله عن الدولة. أنا احترم الدين. وأحترم مندرجاته التي لا تتصل بعمل الدولة. لا يمكننا أن نفصل الدين عن الدولة ونعود لنغيّر الدين الاسلامي. يعني اذا قال النبي انتَ بامكانك أن تتزوج كذا وكذا، أنا أحترم هذا الأمر الذي ورد في القرآن. كل ما ليس له علاقة بعمل الناس وعمل الدولة وكيف تعمل الدولة أتركه sacred للدين.

أنا أرجع إلى النص الديني، وما يقوله المسلمون انا اعتبره ديناً. أنا احترم مقام النبي. لأنه من أكبر مشاكل فصل الدين عن

الدولة، أن هناك بعض العلمانيين يريدون أن يمحوا الدين أو يغيّروه. أنا لست معهم على الأقل في هذه المرحلة من الوقت.

س - نحن في مجتمع فيه تعدد اديان: اسلام ومسيحية. من المقتضيات الأساسية لفصل الدين عن الدولة، أن يكون هناك زواج مدني وتكون زوجة واحدة. كيف تعالج هذه الناحية بالنسبة للمسلمين؟

ج - كنا متعايشين من قبل، ولم يكن هناك أي مشكلة. الزواج المدني يكون مفتوحاً للجميع، لمن يريد. لكن أنا لا أريد أن أتدخل في ما يقول الدين الاسلامي أو المسيحي بأمور لا تتعلق بعمل الدولة. أنا أقدم الزواج المدني الاختياري. أنا أريد فصل الدين عن الدولة، لكن لا أريد أن أتدخل في ما يعتبره المسلم أو المسيحي أمراً خاصاً به، لأني لا أريد أن أفصل الدين عن البيت والعائلة، بل عن الدولة. من الأخطاء التي ارتكبها العلمانيون أنهم تدخلوا بأمور الدين. أنا أحترم الدين وأتركه لرجال الدين. لكن أنا لا أقبل من رجال الدين أن يصيروا سياسيين.

س - واذا أفتى رجال الدين باستحالة الاكتفاء بزوجة واحدة، لأن النص القرآني يبيح تعدد الزوجات؟

ج - أنا لا أتدخل بشؤون المسلمين بما يتعلق بالعائلة ولا يتعلق بأسس الدولة.

LAU Riyad Nassar Library Beirut Campus

دين الدولة

س - علماء الاجتماع والسياسيون من اصحاب السلطة، يؤكدون أن فصل الدين عن الدولة ليس إلحاداً بل تعزيز للدين وللمجتمع. وهناك تجربة للحبيب بورقيبة مؤسس تونس لا يتم ذكرها كثيراً حيث منع تعدد الزوجات والصيام وغيرهما من الأمور؟

ج - نحن لا نناقش في هذا الاطار. أنا كمفكر وانسان يهمني بلدي، أترك هذه الامور التفصيلية وأدع جوهر الدين لاصحاب الشأن. المشكلة الحقيقية: كل دولة عربية تقول إن دين الدولة الاسلام بمعنى أنك إذا لم تكن مسلماً فأنت لا تمت إلى الدولة بصلة، أو انك تأتي في المرتبة الثانية. لبنان وحده يختلف عن محيطه العربي. أنا أقول إن دين الدولة هو المواطنة، وعدا ذلك هو الغاء للعقل وعدم احترام للمواطن. كل دولة تقول إنها دينية يعني أنها متخلفة ولا تحترم مواطنيها. أنا مثلاً مسلم، ولكني لا أؤمن بالاسلام. وهناك الكثير من المسلمين الملحدين، وفي دولة دينها الاسلام لم يعد لهم وجود. من هنا تأتي ضرورة الفصل بين الدين والدولة.

لبنان اليوم بعد أربعين سنة من الحروب لا أحد يفكر بشكل مذهبي من الشعب العادي. اسرائيل بعد هذه السنوات لم تعد

بحاجة إلى صرف الملايين على تكنولوجيا الأسلحة لقتل الشعوب، بل دفعتهم للتقاتل بعضهم مع بعض باسم الدين، وهذا أذكى شيء قامت به لأنه جعلها بمنأى عن الخطر. علينا الانتباه إلى ضرورة هذا الفصل كي لا يصبح الدين أداة سياسية.

ثلاث لمعات

أمام النكبات الوطنية، لا فوارق دينية ولا اختلافات طائفية. فالموت لا يجعل بيننا فارقاً، فمن الحمق أن نجعل فوارق بين أنفسنا.

❖

أن تمنعوني من أن أكون (الخادم الأول) لوطني في الجمهورية السورية لأنني لست مسلماً، ظلم فاحش لي، ويحملني الغرور على القول بأنه قد يكون ظلماً فاحشاً لوطني.

❖

يجب علينا أن نقترب من الوطن كما يقترب المسيحي من مذبح الكنيسة أو المسلم من الكعبة. لأن الوطن هيكلنا العام، يجتمع فيه عبّاده ركّعاً سجوداً يدينون بدين واحد هو الوطنية.

خليل سعاده

قانون النسبية والطائفية

س - هناك بعض السياسيين وغير السياسيين ممن يسمونهم ناشطين، يعطون دوراً لقانون الانتخاب ويقومون بتحديده بشكل أنه مفتاح الحل في مواجهة الطروحات التي تكرّس الطائفية وتوزيع المناصب على أساسها. هل تعتبر أن قانون الانتخاب النسبي جيد، شرط ان يكون على أساس غير طائفي؟

ج - ان أي قانون انتخاب سيوافق عليه هؤلاء السياسيون الموجودون، سيكون شبيهاً بهم وخادماً لمصلحتهم. الحل الوحيد يكون بتغيير المدرسة السياسية من جذورها. المهم أن تكون مواصفات المرشح جيدة، وليس مجرماً يقتل الآلاف، ومن ثم يقرر أن يترشح للانتخابات.

في حال تم إقرار النظام النسبي[1]، ربما يكون أفضل من الذي سبقه بخطوة، ولكنه ليس الحل الأمثل. لدينا رحلة طويلة تقوم على الحراك المدني المستمر لإظهار الفساد والفاسدين ومحاسبتهم.

---

(1) جرى الحوار قبل إقرار قانون النسبية «المبندق».

التكنولوجيا والدين

س - من يدعو لفصل الدين عن الدولة يؤكد أنه بذلك يخدم الدين ويجنبه وحول السياسة، واعتقد أن معظمهم غير ملحدين، ولكن إيمانهم يتمحور على جوهر الدين. لماذا تشدد على موضوع الدين؟

ج - لأني أخاف على مستقبل الانسان. هذه التكنولوجيا القائمة تدمّر تدريجياً كل ما هو عظيم في الانسان.

الأعياد الدينية

س - لنعد مرة أخرى إلى بيت قصيد هذا الكتاب: فصل الدين عن الدولة. في لبنان مثلاً هناك كمّ هائل من الاعياد الدينية التي يتم فيها التعطيل الرسمي عن العمل! برأيك كيف يتم التعامل مع هذا الأمر في حال تم تطبيق الفصل بين الدين والدولة؟

ج - علينا التمييز بين العلمانية وما أطرحه لناحية فصل الدين عن الدولة. تعتبر العلمانية خطوة متقدمة بأشواط عن الفصل بين الدين والدولة. أنا الآن أتكلم على فصل الدين عن الدولة، مع الأمل أن يتم المشروع. وبرأيي أن نصف هذه الأعياد يجب أن يتم تقليص التعطيل فيها، كوني أرى أن هذا التعطيل هو مظهر من مظاهر التخلف. ثم إن مفهومي للعيد يختلف عن المفهوم التقليدي، وأقول حول ذلك: «كنيستي هي عيادتي، صلاتي هي عملي». ليس بالضرورة أن نأخذ ثلاثة أسابيع إجازة في الميلاد ورأس السنة. للأسف في لبنان هناك منحى للتعطيل لا يعتبر تكريساً لمفهوم العيد. العمل يكرّس حضورك ويجعلك تكتشف نفسك وتتجوهر.

من خلال خبرتي في الطب أرى أن الصحة دليل على قدرتك على العمل، والتعطيل لا يعني أنك بخير. تكريم القديسين يتم في العمل، هذا هو موقفي تجاه الظاهرة التي أشرت اليها.

س - وماذا عن التوازن الطائفي في هذا الإطار؟

ج - هذه أمور تفصيلية، وأنا مع احترام الاديان. ولكن هذا لا يعني أن كل دين له اعياده التي يتبعها التعطيل الدائم. الله يريد منا أن نعمل، ونمجده من خلال عملنا الجيد والمفيد للمجتمع والانسان. العمل يجوهر الانسان، وعكس ما يظن الناس أنه يجلب التعب. صحيح هناك أعمال تتعب الانسان جسدياً. ولكن من يحب عمله لا يشعر بالتعب.

س - لفتتني إشارتك خلال الاستراحة إلى شعب منطقة البحر المتوسط لا يحب العمل، علماً أن هذه الصفة تلتصق بالشعوب التي تعيش في المناطق الحارة بشكل عام؟

ج - بالفعل لديهم منحى للكسل. صحيح أن شعوب البلدان الحارة لا يحبون العمل. ولكن أيضاً شعوب البحر الابيض المتوسط يحبون التعطيل والاعياد. أنا مع الفرح. ولكن ليس بالضرورة أن نعطل يوماً كاملاً لتمجيد أحد نحبه. مثلاً هناك عيد لقديس معين لا أرى أي مانع أن يمجده من يحبه ويتبعه ساعة في يوم عيده، ولا داعي لتعطيل اليوم كله. في لبنان نحتاج إلى كل الوقت الممكن للعمل ولبناء ما تهدم.

س - ما قولك أن تصبح الاعياد الدينية أعياداً وطنية لكل اللبنانيين وليست طائفية؟

ج - هذا هو الشيء الصحيح برأيي، مثلاً عيد مولد الرسول محمد وطني وهذا أمر جميل. أنا أؤمن بالانصهار المسيحي الاسلامي وليس التعايش، لأن التراث الموجود لدى الديانتين عظيم.

س - أي نموذج هو الأفضل برأيك والأقرب إلى مشروعك؟

Riyad Nassar Library

ج - أقرب نموذج إلى مشروعي هو الاميركي. أنا مثلاً أدخل إلى المؤتمرات الطبية التي تضم كل جنسيات البشر والاديان. ولكن الجميع يعملون لأجل هدف واحد وهو شفاء المرضى، ولا أحد يسأل الثاني عن ديانته وانتمائه. كل ما يهم هو العمل بصورة جماعية والتعاطي بانسانية. أي شيء يعيق معانقة الانسان لأخيه الانسان، أنا ضده. وأي دين يقول إنه يرفض الآخر أنا ضده. المسيح قال لنا أن نحب أعداءنا، فكيف لي أن ارفض من أختلف معه في المعتقد، إلا إذا كان مجرماً وقاتلاً؟

س - نبقى في لبنان المقيم، وتحديداً في المتحد المسيحي وأعياده الدينية. ألا ترى اختصار عدد الأعياد وبخاصة عيد جميع القديسين المتمحور على القديسين بالجملة، ما دامت الأعياد الخاصة بهم تتناولهم بالمفرق؟

ج - تذكرت القصة الواقعية التالية: رجل أدخل ابنه إلى مدرسة الأميركان في طرابلس. في اليوم التالي، رآه في البيت بحجة عيد جميع القديسين. وبعد أسبوعين، وجده أيضاً في البيت، بحجة عيد أحد القديسين. عندئذ صاح غاضباً: هالعک .... أين كان منذ أسبوعين؟

نحن استعملنا الدين لنتراجع. نحتاج إلى ساعة عمل اضافية وليس العكس. ليس بالضرورة أن تعطل في عيد القديسين بطرس وبولس. إذا أردت تمجيدهما، يجب الذهاب إلى عملك. وهل تمجدهما إذا عطّلت وصعدت إلى اهدن لتأكل الكبة؟ بالعكس، هذه اهانة لهما. بالمناسبة أقول باختصار الاعياد في لبنان، وبصيرورتها وطنية لا دينية.

س - ألا ترى أيضاً ضرورة اختصار التعطيل في الأعياد المختصرة؟

ج - جداً، إذ ليس معنى العيد ايقاف العمل To celebrate The LORD. ان تمجيد القديس بالتعطيل فكرة متخلفة. ثمة أعياد أساسية كعيد الميلاد. عدا ذلك، مضيعة للوقت والعمل. لو كنت رئيساً للجمهورية اللبنانية، لغيّرت عدد ساعات العمل لتصبح 12 ساعة بدلاً من ست ساعات، كأن ساعات العمل القليلة لا تكفينا، حتى يتعطل العمل إذا اختلف وليد جنبلاط مع سعد الحريري، مثلاً!

التمييز بين العلمانية وفصل الدين عن الدولة

س - ميزت بين العلمانية وفصل الدين عن الدولة! لماذا؟

ج - العلمانية هي شيء أكبر من فصل الدين عن الدولة، وفصل الدين عن الدولة هو قسم من فلسفة العلمانية.

العلمانية ليست مرادفاً لفصل الدين عن الدولة، بل هي تعني كل شيء يعود للعلم وللعقل، وتنطوي على شيء من تخفيض قيمة الدين. لذلك لا أحب أن أربطها بفكرة فصل الدين عن الدولة.

س - هل ترى أن المبدأ الحقيقي يجب أن يتمحور على فصل الدين عن السياسة؟

ج - يمكن القول بفكرة فصل الدين عن التربية التي تقارب فصل الدين عن الدولة، أما العلمانية فهي فلسفة تؤمن بما هو مرتبط بالعقل والأمور المادية المحسوسة، وأراها خطوة متقدمة عن فصل الدين عن الدولة. ويجب أن نذهب إلى ذلك لاحقاً. نحن الآن نطالب بالدولة المدنية بدل أن نطالب بالدولة المدنية العلمانية. كل ما لا يقبله العقل ترفضه العلمانية. وهذا ما يؤكد ان فيها انتقاصاً من قيمة الدين إلى حد ما. وبرأيي، الدين أمر

مهم ونحتاجه كي لا ندمر ما تبقى من أخلاقياتنا. نحن في عصر التكنولوجيا التي تدمر كل القيم، لذلك يفيدنا أن نمنع أي محاولة لتدمير الدين.

س - هناك الكثير من علماء الاجتماع والفلاسفة ومؤسسي الدول قاموا بارساء قواعد الاخلاق بقوانين وضعية بعيداً عن النصوص الدينية؟

ج - لا أنفي، ولكن هذا لا يعني أن الدين خسر قيمته، حتى لو أن معظم الناس لا تمتلك النزعة الإيمانية الحقيقية. ولكنهم يقصدون الكنيسة ويخضعون لها، وفي ذلك قيمة معنوية مهمة تساعد على تجنب الأخطاء. لعل المشكلة في الطقوس الدينية كما رأى جبران خليل جبران، وليس في الدين بحد ذاته. ولكن من ناحيتي أرى بعض هذه الطقوس جميلة ولو كانت تقارب الخرافة. جبران كان ضد الطقوس التي تعيق العقل والابداع، وكان ضد تصرف رجال الدين وليس ضد الدين. حتى أن رجال الدين الموارنة في لبنان لم يفهموا موقف جبران من الدين.

س - لذلك وصلوا إلى حافة حرمانه في حياته في بوسطن. ولولا المونسنيور اسطفان الدويهي لنقل جثمانه من بوسطن إلى بشري بلا صلاة.

ج - هذا دليل على أنهم لم يفهموا يوماً جوهر الدين كما فهمه جبران الذي كان متديناً أكثر منهم جميعاً.

LAU Riyad Nassar Library

دين المواطنة

س - في موضوع الاقليات المتداخل بالمذهبيات هناك ظلم للكثيرين منهم في لبنان. ما هو الحل؟

ج - هذا التخلف لا نجده في الدولة المدنية حيث أن دينها المواطنة، ولا يتم التقسيم فيها على أساس طائفي، فيقع الظلم على فئة دون سواها. كل شيء يحدّ من قدرة الفرد على الابداع خطأ. مشروعي لا يوجد فيه توصيف لأقلية وأكثرية.

أتربية وطنية في جامعات مذهبية ؟

س - تقول بفصل الدين عن التربية فماذا تفعل بالمدارس الدينية والجامعات حيث أن لكل طائفة جامعتها؟

ج - هذه المشكلة قمنا بحلها في جامعة البلمند التي هي ملك البطريركية الانطاكية للروم الارثوذكس. ونحن لا نفرق بين مسيحي ومسيحي وبين مسيحي ومسلم، بدليل أن المتخرجين كل عام هم من كل الطوائف، ولا نلزم أحداً بالدين، بل نترك لهم حرية الاختيار.

س - ماذا عن الجامعات الأخرى، حيث يوجد جامعة للسنّة وجامعة للشيعة وهلمّ جراً؟

ج - أنا أقول إن الجامعة التي لا تضمن حرية المعتقد والرأي، ليست بجامعة. قد أقصد جامعة الشيعة لأتعلم، شرط أن لا يفرضوا عليّ أي شيء. علينا أن نكون موضوعيين ويبقى تلقي العلوم الدينية اختياراً وليس إلزامياً.

س - ألا يجب أن يتم تعزيز دور الجامعة اللبنانية؟

ج - بالطبع، ولكن يجب أن تكون مستقلة عن الدولة في قراراتها، ويجب أن يتم رفع يد الدولة عنها لناحية تعيين رئيسها والأساتذة فيها، يمكن أن يكون هناك مجلس يقوم باختيار الرئيس

Riyad Nassar Library

الافضل لها. في أميركا الدولة تمول الجامعة، ولكن هناك آخرون يمولونها. لذلك تبقى الجامعات هناك مستقلة ولا تتحرك ضمن دائرة النظام الرسمي. نظامنا مهترئ، فكيف نثق بخياراته؟ وأنا منذ زمن طالبت بفصل الجامعة اللبنانية عن الدولة من الناحية الادارية.

س - ما رأيك في المدارس الدينية؟

ج - هذه حرية شخصية شرط أن لا تعتدي على حرية الآخرين وتلقن طلابها العنف.

س - لنأخذ ظاهرة داعش، فنحن نرى اليوم اجيالاً مقتنعة بمنطقهم الاجرامي، ما قولك؟

ج - هذه مدارس ضد احترام الانسان وحقوقه. أي فلسفة وأي مدرسة أو نظام يقوم على تحقير الانسان الآخر، يجب أن يكون ممنوعاً.

س - هل ترى أننا اذا درّسنا طلابنا أهمية فصل الدين عن الدولة قد نحقق المستوى المطلوب من الدولة المدنية؟

ج - أكيد. بشرط أن نتقن الأسلوب المناسب والصحيح لإيصال فكرتنا، مع الاشارة إلى احترام الاختلاف وعدم التقوقع في دائرة دينك وحسب. أنا أريد الفصل بين الدين والدولة ولكني أصرّ على إحترام الأديان.

س - لنعد إلى التربية التي اعتبرتها العلاج الرئيسي لسرطان الطائفية؟

ج - أستاذي في كلية التربية حسيب غالب كان شيوعياً، طردني من الصف لأني تلفظت بكلام سلبي عن المتنبي. كدتُ ان

أنال جائزة نوبل في العام 2005، على أبحاثي الطبية. ولكن أحداً في الجامعة الأميركية البيروتية، عميداً كان أو رئيساً للأبحاث العلمية مع الأسف لم يقرأها. إن دور الجامعة لا يقتصر على تعليم الطلاب، بل يتعدى ذلك إلى صياغة عقول جديدة متحررة. والفرق كبير بين ما هو كائن وما يجب أن يكون.

س - ألا ترى ان تراجع العلمانية في لبنان يعود في الدرجة الأولى إلى الهوة بين النظرية والتطبيق في قاموس العلمانيين؟ أوليس دولة نائب رئيس المجلس إيلي الفرزلي القومي العربي العلماني الذي طرح القانون الارثوذكسي الانتخابي، خير مثال على ذلك؟ ليت هؤلاء يأخذون دروساً خصوصية من رائد رواد النهضة المعلم بطرس البستاني مؤسس أول مدرسة وطنية في لبنان. فحين حاول الانجيليون «تطبيق» الطلاب ليعتنقوا مذهبهم، منعهم رغم انه منهم. وفي حين كان بعضهم يتراشق مع بعض الموارنة، نشر في العام 1870 افتتاحية في جريدته «الجنة» احتفى فيها بعودة مطران بيروت للموارنة المؤرخ يوسف الدبس من روما إلى بيروت.

ج - هذا بالضبط ما عنيته عن الالتزام بالفكر. خذ معظم العلمانيين - إن لم يكن كلهم - هناك انفصام لديهم بين الكلمة والفعل. لا التزام بالكلمة حتى لدى المفكرين والكتّاب. يقولون شيئاً، ويعملون عكسه. والجامعة الاميركية في بيروت مثال ساطع. فقد جاءت لتحرر الفكر. ولكنها اتبعت منهجاً مخالفاً لفلسفتها حين حاولت ان «تعمل الناس بروتستانت». ولكن ذلك لم يطغَ على إيجابياتها العظيمة.

س - لعل أكبر أخطائها طردها أحد أساتذتها الدكتور إدوين لويس الذي دعا الطلاب في خطاب التخرج - وهو المبشر الانجيلي - إلى قراءة كل الكتب بما فيها كتاب داروين. وقد ضاعف من خطأ

رئيسها بلسّ ومجلس أمنائها في نيويورك، عدم اكتراثهم بالدكتور كورنيليوس فان دايك، حين فصل نفسه عن الجامعة التي اشترك في تأسيسها تضامناً مع لويس.

ج - من الطبيعي أن يقول لويس لطلابه: إقرأوا حتى داروين. الذين اعترضوا على لويس كانوا متخلفين، لأنه ليس باستطاعتهم أن يفرضوا على طلابهم الكتب التي يريدون منهم قراءتها. ليس كل الاساتذة تقدميين. فمعظم من كان في الدائرة معي، وبعضهم دكاترة، كانوا ضد الأبحاث العلمية. وهذا يؤكد انه ليس بالضرورة أن يكون كل أكاديمي متطوراً ومنفتحاً. لذلك، من الملحّ أن تكون في الجامعة مساحة لحرية الفكر. لقد كانت المساحة منعدمة أو ضيقة عندما طردوا الدكتور صادق جلال العظم لأنه نشر كتاب «نقد الفكر الديني». كان طرده بمثابة إهانة للجامعة ومبدأ حرية الفكر فيها. غاليليو سجن لأنه قال رأياً مخالفاً.

س - ولكن من حسنات الجامعة الأميركانية البيروتية انها تعود وتصحح أخطاءها. فقد أعادت الاعتبار بعد حين للدكتورين إدوين لويس وفان دايك.

ج - نحن نؤمن بالفصل الكامل بين الدولة والدين، والفصل بين الدين والتربية. فالذي أوصلنا إلى داعش هي المدارس الدينية التي تحضّ على الطائفية، وكان من نتائجها قتل من يخالف رأي خريجي تلك المدارس.

س - كأنك تضيف إلى قاموس العلمانيين مبدأ جديداً وهو (فصل الدين عن التربية)؟

ج - لأن التربية هي التي تخلق عقلاً جديداً وانساناً جديداً. لا يمكنك أن تضع التربية تحت رحمة الدين. أنا ليس لدي مشكلة

Riyad Nassar Library

اذا أتى البطريرك هزيم وأنشأ جامعة البلمند. لكن أنا عندي مانع إذا (اخي ايلي) ❖ حوّلها إلى جامعة دينية، فلا يعود لك الحق أن تقول في الجامعة ما هو رأيك الديني.

س - وهذه الفكرة أوضحتَها سابقاً..

ج - لكن أنا أكرر هذه الفكرة العامة مرة ثانية لأنني، أنا اعطي هذه القصة اهمية كبيرة جداً، ليس فقط فصل الدين عن الدولة. ولكن فصل الدين عن التربية أيضاً. أنظر ماذا فعل الدين بالتربية في السعودية وفي المدارس.

س - في الحديث السابق ركزت، بالنسبة للحل، على الناحية التربوية. هل ثمة شيء اضافي للناحية التربوية، خصوصاً وأن الطائفية راسخة عميقاً في النفوس، ولا أستثني التربويين؟

ج - أقول أن التربية هي أهم ثورة بتاريخ الانسان. لدي فكرة تختلف جذرياً عن السائد بمعنى التربية. يذهبون إلى المدرسة والجامعة لتعلم المعرفة. المعرفة مهمة ولكن هناك شيء أهم منها هو تحفيز العقل وتدريبه وخلق عقل جديد، وبالتالي خلق انسان جديد. أنا لا استطيع خلق انسان جديد كالذي يخلق من أبيه وأمه. ولكن باستطاعتي خلقه من جديد عبر تدريب العقل. لأن العقل هو الانسان. أنا أغيّر لك كبدك، أو أزرع لك كلوة. تبقى أنت جان دايه. يمكن ان عملت لك transplant لعقلك تصير غير جان دايه. الانسان هو العقل. وعندما تدرب العقل تخلق انساناً جديداً. اعطيك مثلاً. كان عندي طالب يرفض أن يتعلم. شكّل تحدياً لي. وكان مشاغباً ولا يريد أن يكون طبيباً. في البدء منحته كثيراً من المحبة والاهتمام. وكنت أهنئه على كل عمل يقوم به. فتحوّل تدريجياً إلى الاهتمام

❖ كان رئيساً لجامعة البلمند.

بالعلم. واليوم هو بروفيسور ذو شأن في أهم جامعة في العالم. لو لم أدرب عقله، كان ما زال قاعداً ببيته وعنده وُريشة يشتغل فيها. تدريب العقل أهم من المعرفة. لان التدريب في النهاية هو الذي يخلق الشخصية ويصنع المعرفة. ليس أهون من أن أعلمك 2 زائد 2 يساوي 4. الأصعب والأهم هو نوع العقل الذي أدربك عليه. كيف أدربك على الحوار. كيف أدرّبك على التفكير والبحث والإصغاء؟ هذه أمور أساسية. التربية برأيي أهم ثورة قام بها الإنسان. وهي الثورة التي تخلق انساناً جديداً. أنا الآن أنظّم اقامة ندوة في جامعة البلمند مع «مؤسسة الصفدي»، عنوانها «دور الجامعة في صنع عالم عربي جديد»[1]. لأن الطريقة التي نحن نتعلم فيها التلقين، هي عملية تخدير للعقل. أنا أؤمن بقوة العقل. كيف تدرب هذا العقل. وهنا تأتي طبعاً أهمية البحث العلمي، وأهمية كيف يتدرب الانسان على التفتيش عن الحقيقة.

س - هل تكفي التربية الجامعية للانتقال بالنظام الراهن المتجذر طائفياً إلى نظام علماني يفصل الدين عن الدولة ويعتمد الزواج المدني؟

ج - أكيد. التربية هي من الأشياء التي نحتاجها ولكنها ليست كل شيء. نحتاج أيضاً إلى قيادة سياسية، ومائة شغلة. ولكن لو انت قمت بثورة، ولم تربّ الانسان تربية جيدة، وتربية مدنية، ستفشل. مع أن التربية وحدها غير كافية.

(1) أقيمت الندوة.

الزواج المدني الاختياري

س - ماذا عن المحاكم الروحية؟

ج - هذه المحاكم يجب أن تكون ضمن إطار الدولة المدنية.

س - هناك من يرى أن النظام المدني يعمل على تدمير المجتمع؟

ج - أنا أرى أن على الانسان أن يختار ما يريده دون أن يكون ملزماً بالتبعية لرجال الدين، بل للدولة المدنية. أنا زوجت مريضة عندي للشخص الذي تحبه، وقرأت لها من كتاب «النبي» لجبران عن معنى الزواج. النقطة الأساسية هي بالفكر والعلم والقيادة، وهناك فرق بين الثقة بالنفس والتكبر.

Riyad Nassar Library

فصل الدين عن الكنيسة

س - نعود إلى سرطان الطائفية. ثمة أكاديميون من دعاة خلط الدين بالدولة، يبررون «خلطهم» بأن فرنسا اكتفت بفصل الكنيسة عن الدولة Separation de l'eglise de l'etat وكأنهم يجهلون أو يتجاهلون ان الكنيسة بقاموس الدستور الفرنسي مرادفة للدين!

ج - الآن إذا قلنا بفصل الدين عن الدولة (The separation of the church from the state) فهذا يعني فصل الدين عن الدولة. لأن الكنيسة مرادفة للدين.

طبعاً نقول بفصل الدين لا الكنيسة، عن الدولة، لأن لدينا كنيسة وجامع وملحدين.

س - كم هو مؤذ ظهور أكاديمي عبر شاشة الفضائية يدعو إلى خلط الدين بالدولة في لبنان، حتى لو اقتصرت علمانية فرنسا على فصل الكنيسة عن الدولة؟

ج - للأسف إن البعض يتكلمون بمواضيع يجهلونها أو يتفوهون وفق نهج القوة السياسية التي يرتبطون بها. المفكر الحقيقي يجب أن يكون حراً.

فصل الدين عن السياسة ؟

س - يخلط بعض العلمانيين عن قصد أو عن جهل بين مضمون عبارتي: فصل الدين عن الدولة وفصل الدين عن السياسة. والفرق كبير بين المقولتين. ففي حين تشمل الاولى الأحوال الشخصية، كالزواج المدني والارث، وتلغي المحاكم الروحية، تكتفي الثانية بالغاء الطائفية السياسية التي تجيز لرجال الدين ان يستمروا في تعاطيهم في السياسة والقضاء أكثر من اهتمامهم بالشؤون الدينية. كيف تحدد موقعك ورأيك من هذه الناحية العملية والجوهرية التي رسم الغرب وبعض الشرق فيها الحد العملي الفاصل بين ما لقيصر لقيصر وما لله لله؟ وفي الوقت الذي يجب أن يحسم دعاة العلمانية أمرهم، ألا يستمر بعض العلمانيين في بلادنا في وضع رجل في بور النظام الطائفي القائم، ورجل في فلاحة النظام العلماني العتيد؟

ج - اختلف مع الاثنين. فللوصول إلى فصل الدين عن الدولة، يقتضي انتهاج ما يسمى بالانكليزية Dynamic process وهو مسار ديناميكي متحوّل. لا يعقل ان يكون اليوم، الدين مع الدولة، ونستيقظ غداً وهو مفصول عنها. في المسار، نبدأ بفصل الدين عن السياسة، وبعدها نفصلها عن أمر آخر. وهكذا، حتى يتم فصلها عن الدولة ككل. ولكن دعونا نبدأ بالمرحلة الأولى أي فصله عن السياسة، بحيث

Riyad Nassar Library

يتاح للمواطن أن يأخذ أي وظيفة في الدولة على أساس الكفاءة. حالياً، اذا أردت أن تكون قاضياً، دينك بل مذهبك يحدد لك فرصة الوصول إلى القضاء. يا أخي، ليكن المعيار الكفاءة. عندما الكفاءة لا تكون المعيار، فالنتيجة هي الانهيار. فما هي قيمتك انت إذا لم تكن كفوءاً، ووظفوك لانك كاثوليكي فقط. أول شي نعمله، أن نفصل عمل الدولة عن الدين. ثمة علمانية ضد الدين، كما هو حال الشيوعيين. انا ضدهم. انا أؤمن ان الدين شيء مهم كثيراً كثيراً. ولكن انا أحب إبعاد الدين عن الوحول السياسية. الدين يجب ان يبقى عظمة. هذا التراث العظيم الذي يعني الانسان بعلاقته مع نفسه ومع الخالق. هذه عظمة. لا دور للدولة بذلك. الدور يتعلق ببيتك انت مع زوجتك وأولادك وشخصيتك. ولا علاقة لذلك، اذا انت أصبحت قاضياً أو لا، أو صرت أستاذاً بالجامعة اللبنانية أو لا، أو اذا أصبحت وزيراً أو لا. عندي احترام كبير للدين ولكل الاديان. اعتقد أن المسيحية تراث حضاري هائل، كذلك الاسلام. انا لست مسلماً. ولكني أحب الاسلام وأرغب في اعلاء شأنه، والتعلم منه. انا كمسيحي أؤمن بالزكاة. أؤمن انه اذا تقاضيت $100 بالشهر وكنت فقيراً، يجب أن تتعلم كيف تأخذ منهم دولاراً أو دولارين وتعطيهم لشخص آخر. هناك ناحية أحببتها كثيراً عندهم وانا أمارسها. تدخل مقهى لتشرب فنجان قهوة. لك الخيار أن تأخذ فنجان قهوة مثلاً بيورو، وتدفع يورو للشخص الثاني الذي لا يملك ثمن فنجان القهوة. انها مسألة صغيرة، ولكن نتيجتها كبيرة. أحياناً لا أكون راغباً في ارتشاف القهوة، ولكني أدخل المقهى وأرتشف فنجان قهوة لكي أدفع 13 يورو، فيشاركني اثنان بشرب القهوة لا يملكان ثمنها، وأنا لا أعرفهما ولا أطلب منهما شيئاً. أعترف بأني تعلمت كثيراً من الاسلام. انا بأميركا عندي آية من القرآن بغرفة

الفحص الطبي، تنص على ما حرفيته ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (المائدة آية 32). أنا كمسيحي لست محدوداً للمسيحية. المسيح ما قال لي: إمّا تعاليمي أو لا شيء. المسيح قال لنا: احبوا اعداءكم. هذه عظمة. لان اليهود كانوا ولا يزالون يؤمنون بمبدأ العين بالعين والسن بالسن. فجاء المسيح ونقضها. ولكن كيف استغلها اليهود بأميركا؟ المسيحية تناقض اليهودية. ولكن في العالم كله يُنظر للمسيحية كتكملة لليهودية. إنها ليست كذلك. لان المسيح نقض كل ما كان اليهود يريدونه. ولكن لكي يسهّل مسيرة المسيحية قال: أنا لم آت لأنقض بل لأكمل. اخذوا كلمة ليكمّل وبنوا عليها. الآن أميركا كلها: «يهودية مسيحية»، ولكن، هم على نقيض. اليهودية لا تقول من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر.

س - لنعد إلى بيت القصيد المتمحور على فصل الدين عن السياسة؟

ج - بل أعود إلى بيت القصيد لأوضح أيضاً مفهومي للدين. أنا لا أقول بفصل الدين عن الدولة لأن الدين ليس جيداً. بل لاني أحترم الدين وأعتبره شيئاً عظيماً. دوري كمسيحي ليس محدوداً فقط بالمسيحية. أقبل أي شيء جميل من الاسلام، وأتعلم من الاسلام. ولكن في النهاية تكون الدولة لا الدين قدوتي. العقل يجب أن يكون القدوة. لذلك أتمنى الفصل لوضع الدين بمقامه العظيم. بذلك تتحرر الدولة من (dogma) الدين. أنا لا أريد وضع كل الدين جانباً. تعالوا نبنِ دولة. الآن مثلاً في أميركا، لا يسألك أحد ما

Riyad Nassar Library ... Beirut campus

دينك. انا مواطن مثلي مثل غيري. ان كنت أرثوذكسياً أو مارونياً أو كاثوليكياً أو حتى مسلماً. هذا هو الفرق بيني وبين بعض العلمانيين. أنا لا أريد أي قلة احترام للدين. أنا مع الدين. وأنا رجل أؤمن بقيمة الدين. ولكنني لا أؤمن باستعمال الدين كوسيلة سياسية.

ثلاث لمعات

كافر يصدقك خير من متديّن يخدعك.

❖

إن كتب الدين مصابيح تنار بها مسالك الحياة وليست مقاييس تقاس بها المعرفة.

❖

إن ايماناً صادقاً في صدور الساذجين لخير من التديّن المحنّط في معابد المتمدنين.

أمين الريحاني

امكانية الشفاء من السرطانين الخطيرين

س - عندما كنت تتكلم على مرض السرطان، ذكرت ان أهم مرحلة في علاج هذا المرض هو التشخيص. وقد شددت عليه كثيراً. ومن بعده يأتي العلاج بقدر ما يكون التشخيص دقيقاً.

ج - أضيف إلى التشخيص، التقييم الذي يفيد عن إنتشار المرض بالجسم، أو عدم انتشاره. وللأسف، ان 90% من مرضى السرطان يُعالجون من دون التشخيص والتقييم.

س - إذا كانت الطائفية سرطاناً اجتماعياً، فهل يكون علاجها مستعصياً كبعض السرطانات الجسدية، خصوصاً بعد أن تأصلت وتفشت في جسم المجتمع اللبناني؟

ج - أنا لا أقول مستعصية. هذه الكلمة خطأ علمي. المشترك بين الطائفية والسرطان أمران: الخطورة، وامكانية الشفاء. الطائفية كالسرطان، يمكن الشفاء منها.

س - من خلال هذا الحوار الطويل، هل تعتبر انك شخصت هذا المرض (الطائفية)، وقيّمت انتشاره؟

ج - انا اعتقد ان اكبر مشكلة في العمل السياسي في الشرق، وفي تعامل الدولة مع المواطن، هو عدم فصل الدين عن الدولة. لا يمكن ان تبني الدولة ويكون الدين جزءاً منها. ان اطروحتي هي (الدين لله والوطن للجميع). انا افصلهما تماماً، واعتبر ان الطائفية مرض خطير، لكنه يعالج، والشفاء منه ممكن.

س - امضيت سنين في درس سرطان الجسم ومعالجته على اختلاف بكل انواعه، وبرعت في هذا المجال ولمعت. هل تفكر بالنسبة لسرطان الطائفية ان تنتقل من التنظير إلى الفعل؟

ج - حلو هذا السؤال. ان اكثر ما تعلمته من مهنة الطب التي أمارسها، ان الانسان واحد. لم أرَ أن مرض السرطان يتصرف مع الدرزي بشكل مختلف عن المسيحي أو عن المسلم. رأيت ان الانسان هو واحد. الانسانية كلها عائلة واحدة. من خلال مشروع Human Geno Project. اثبتنا للعالم أجمع ان نسبة الاختلاف (بـ DNA) بين انسان وآخر هي 0.01% كحد أقصى. نحن نمتلك أشياء كثيرة مشتركة، وبالرغم من ذلك انظر كم من الحروب لدينا. وكيف نقتل بعضنا. إذا كانت نسبة الاختلاف هي هكذا ونحن نتقاتل مع بعضنا، فكيف يكون حالنا لو ان النسبة هي 1% ؟ ان الانسان واحد. لذلك انا اؤمن بفصل الدين عن الدولة حتى ننظر إلى الانسان المواطن كواحد. أما إذا انطلقنا من المبدأ السائد القائل بأن ما يحق لشخص ما، لا يحق للشخص الآخر، فلا يمكن ان تبني دولة في نظام كهذا. نحن متساوون في الواجبات والحقوق. الطب علّمني ايضاً امراً مهماً جداً. فمن دون الاصرار والـ Perseverance (المثابرة) والقوة، لا يمكن ان نصل إلى أي شيء، لا يمكن ان نشفي المريض. كذلك، اذا لم نصرّ على فصل الدين عن الدولة، ولو تطلّب ذلك سنين، لا نصل. انا افضّل ان نبتدئ بالكلام اليوم حتى نصل. لكن ليس لنقول

ان هذا غير ممكن ان يحصل، ولا نقوم بأي عمل. وقد تعلمت ايضاً من خلال ممارسة الطب ان العمل مسؤولية. انا عندما أذهب إلى مكتبي لا أرى Glamour (سحر). يأتي الكثير من الناس للعمل معي من انكلترا، ويستغربون كيف انني هكذا Simple (بسيط) ومتواضع. ذلك لأنني تعلّمت ان امارس عملي كمسؤولية، في حين يمارسها سياسيونا «الأوادم» كوجاهة.

قد أكون اهم طبيب للسرطان في العالم. هذا لا يعني لي شيئاً. إذا كنت انا أهم طبيب، أو لا. أنا عملي هو: عندما يأتي إليّ مريض، أعطيه افضل علاج بالعالم، وهذه مسؤولية ضخمة. وانا أنوء تحت عبء هذه المسؤولية.

س - وهل ميّزت بين مريض رئيس وآخر عامل؟

ج - ما هزّني هذا الأمر. عالجتهم كلهم وأعطيتهم مثل ما اعطيت الانسان البسيط. لقد ساويت في عيادتي بين أغنى وأقوى الرجال وأضعفهم وأفقرهم.

ثلاث لمعات

مسألة الدين والوطن مبحث وعر المسالك. مع ان المسألة بسيطة جداً ككل الحقائق: فالدين للآخرة، والوطن للدنيا.

❖

الدين صلة بين قلب الانسان وربّه. فلا يليق بنا أن نتبذل به وننزله إلى مصلحة إجتماعية كثيراً ما تكون سبباً لعرقلة أمورنا في دنيانا.

❖

إذا لم نفصل الدين عن الدنيا، واتخذناه، كما هو اليوم وسيلة للشقاق، فماذا تكون النتيجة سوى خسارة الدين والدنيا معاً.

شبلي شميّل

Beirut campus

الجزء الثالث

مقيمون ومغتربون

الحراك المدني

س - ضم الحراك المدني في لبنان كل الطوائف والمذاهب، ما جعل البعض يرى فيه حلاً أو بعض الحل لمعضلة الطائفية. فهل يعود فشله إلى رسوخ هذا المرض المجتمعي وتفاقمه في السنين الأخيرة؟

ج - لبنان له حل واحد لا غير. نحن اصبحنا متكلين على الخارج منذ أربعين سنة، مرة نضع اللوم على الفلسطيني، ومرة على السوري، وأظن أنه حان الوقت لنعالج مشاكلنا بأنفسنا، لأن من لا يصنع مستقبله بيده سيأتي أحد من الخارج ليصنعه له. أضف إلى ذلك أن السياسيين الموجودين اليوم من المستحيل أن يقوموا بالإصلاح، لأنهم مرتزقة يعيشون على حساب الدولة. لذلك أنا أقول دوماً إن الحل في لبنان هو المجتمع المدني. لا يوجد مجتمع في العالم العربي ناضج، لذلك فشلت الثورات، لكن لبنان لديه مجتمع مدني لا بأس به. هذا الوطن الذي يتميز بمناخه ومياهه الوفيرة وإنسانه، وهي قوى هائلة. ومع ذلك وصلنا إلى ما

Riyad Nassar Library

نحن عليه من تخلّف، بينما في دبي هناك قيادة تمكنت أن تصنع من الرمال معجزات، ليس لديهم بترول، ولكن لديهم رؤيا. نحن اللبنانيين تنقصنا الرؤيا، وعلينا أن نبني لبنان الجديد من خلال الحراك المدني شرط أن يكون هناك رأس قادر على إدارة التغيير وتنظيمه بشكل دقيق. علينا تغيير المدرسة السياسية والسياسيين لكي نتمكن من فصل الدين عن الدولة. كل السياسيين اليوم لا يخدمهم هذا الطرح. بل بالعكس هم يوظفون انتماءهم الديني في خدمة مصالحهم، ورجال الدين يشتركون معهم في الجريمة لأنهم منتفعون مثلهم.

س - هذا الحراك الذي شهدناه أخيراً من المسؤول عن فشله؟

ج - كل عمل في الدنيا دونه عقبات، لكن هل عليك التراجع كلما واجهتك عقبة؟ لا أظن. ما حصل أن هذا الحراك لا يملك رأساً حقيقياً وتنظيماً، لذلك فشل في مسعاه. وأنا في مقالة لي اقترحت أن يكون هناك رأس يُنظّم كل شيء، وآخر مرحلة تكون بالحراك في الشارع. لكن الفكرة التي لا يتم ترجمتها عملياً لا تصل إلى نهايتها المرجوة.

س - هل يشكل غياب القائد عاملاً سلبياً على أي فعل، ويؤدي إلى الفشل؟

ج - صحيح، وهذا الواقع ينسحب على كل المجالات. الأمور تسير نحو الاسوأ. أعود للقول ان فشل المعتصمين يعود لسببين: الأول استعمال العنف. عندما تستعمل العنف تفشل. العنف مظهر من مظاهر التخلف. فإذا أردت التغيير، فهل من الضروري أن تكسر زجاج دكانة لبناني فقير هي مورده الوحيد لمصروف عائلته؟

س - الحراكيون يتهمون المندسّين بين صفوفهم..

ج - نحكي بشكل عام. قد يكون المندسّون فعلوا اكثر من ذلك. ولكن بعض الحراكيين مارسوا العنف. السبب الثاني: انتفاء التنظيم. ان عمل الحراك في المجتمع المدني يجب أن يكون منظماً ويتسم بالديمومة. وهذا دور المفكرين والعقلاء والاقتصاديين الذين يخططون لهم. يجب أن يكون الحراك من صلب شيء كبير هو التراتبية في المجتمع المدني الثائر. وللأسف لم يكن وراء الحراك منظمون وعقلاء. وكل عمل غير منظم يفشل. ومع ذلك، لم يخل من الايجابيات، إذ برهن على امكانية التغيير بواسطة الحراك.

س - ومن ايجابياته تكوّنه من سائر الطوائف والمذاهب.

ج - هذا شيء مهم.

س - هل تعتبر الحراك المدني من الحلول الأخرى لسرطان الطائفية إلى جانب الجامعة والمدرسة؟

ج - نحكي خصوصاً عن لبنان والعالم العربي، فعلى المجتمع المدني أن يتحمّل مسؤوليته. ولنأخذ لبنان مثلاً لأننا نعرفه أكثر من أي دولة أخرى. هو ليس لبنان نبيه بري وسعد الحريري وميشال عون. هو لبناني ولبنانك، وعلينا مسؤولية تجاهه. لا يجوز أن نترك المسؤولية لميشال عون وسعد الحريري وسمير جعجع. نحن يجب أن نأخذ المبادرة بيدنا كمجتمع مدني ونعمل سوياً. وليس بالضرورة أن نتسرّع. وما نقوم به يجب أن يؤدي إلى تغيير القيادات السياسية. ومن الأشياء التي نريد تغييرها، فصل الدين عن الدولة والسير باتجاه الدولة المدنية. لأن الدولة المدنية وحدها تعطيك حقوقك. أنا مثلاً أشعر بتمييز ضدي في لبنان. لأني أرثوذكسي لا أستطيع أن

Riyad Nassar Library

أكون رئيس الجمهورية أو الوزارة أو المجلس. ولكن في اميركا أشعر أن كل حقوقي تصلني. ليس هناك من تمييز ضدي. أنا في العالم العربي فيليب! أنا الآن رئيس دائرة طويلة عريضة في أميركا، فيها من جميع أنواع الناس، يهود ومسلمين ومسيحيين وبوذيين وصينيين وسواهم. لا أحد يسألني لماذا حضرتك رئيسنا وأصلك لبناني أو لأن عندك لكنة بلغتك الانكليزية، ولستَ مولوداً في أميركا؟ هناك لا يتوقفون أمام لكنتك، ولا أنت ابن أديب سالم وأمك لميا أو مذهبك أرثوذكسي... كل هذه اعتبارات لا قيمة لها. اميركا تسأل: ما هو الإسهام (conribution) الذي تعمله لي وللعالم؟ هنا في لبنان هذا السؤال لا يُطرح. أنت هنا قوتك بانتمائك لطائفة معينة أو لزعيم معين. إذا لم تكن منتمياً لزعيم سياسي أو لزعيم طائفي، ولا تؤمن بهذا الانتماء، لا تصل إلى تأمين حقوقك. هذا النظام يهينك لأنه يحدد لك الانتماء إلى القائد الديني أو إلى الزعيم السياسي. الذين مع عون، هل باستطاعتهم القيام بشيء لا يريده عون؟ لا يوجد رجال احرار في مجلس الوزراء يلتزمون بلبنان. مصلحة الحزب عندهم أعلى من مصلحة الوطن. هؤلاء القاعدون في مجلس الوزراء، هم دمى متحركة ووراءهم دمى أكبر أخرى متحركة تتبع بدورها دمى أكبر منها. المشكلة في لبنان وفي العالم العربي أنك أنت لا تقرر مصيرك كمواطن، فتترك كل مسؤولية مستقبلك للآخرين. وأنت كل الوقت تشكو. أتعرف ماذا يقول George Orwell؟ يقول «أن هؤلاء الذين ينتخبون الـ dictators ويحبون الناس الفاسدين ليسوا ضحايا بل هم مساهمون في هذه العملية (collaborators)». يعني نحن كمجتمع مدني نذهب إلى مهرجانات بعلبك... ونترك مسؤولية قيام الدولة لهؤلاء السياسيين. نحن ما اخذنا دورنا كمجتمع مدني. يجب على المجتمع المدني أن يأخذ دوره ويكون منظماً للقيام

بعمل جذري يغيّر القيادات السياسية في لبنان، كي نقدر أولاً أن نعمل شيئاً. فاذا بقي النظام على حاله، فهذه الجماعة الموجودة في الحكم لا يمكن أن تقوم بأي خطوة للتغيير، لأن التغيير لا يناسبها. وهم ليسوا بقادرين على السير نحو الدولة المدنية. الآن، البطريركية المارونية تقول أنها تريد الدولة المدنية. هذا إنشاء. ماذا عملت البطريركية المارونية، ليكون لنا ثقة بها؟ اذا أنا فيليب سالم ترشحت لرئاسة الجمهورية يضعون لي متفجرة لأني ارثوذكسي!

Riyad Nassar Library
LAU Beirut campus

حزب الله

س - على الأسئلة السابقة كان لك جواب عن حزب الله. السؤال هنا: ألا تظلم حزب الله حين تضعه في سلة واحدة مع الدويلات السياسية اللبنانية الميليشياوية، وهو الذي وضع حداً لاحتلال اسرائيل لجنوب لبنان، واستباحتها المتكررة للسيادة اللبنانية، ويضع حداً للتكفيريين المتوحشين في التوغل في لبنان وقتل سكانه وهدم آثاره كما فعلوا في سوريا وفي العراق؟ ليتك حصرت نقدك، وأنت العلماني، في ايديولوجيته المذهبية ومزجه دبس الدين بطحينة الدولة؟

ج - وهو أنا هكذا - أنا هكذا - أنا أقف اجلالاً أمام حزب الله بهذا الذي فعله. أخرجوا اسرائيل من لبنان. قاموا بأعمال خيالية كبيرة جداً في الجنوب. أنا أقف اجلالاً أمام حزب الله لجهة هذا الموضوع. أنا لم أقل أنني ضده بكل شيء. أنا ضده بالأمور التالية:

أولاً: أنا ضد قوة سياسية لها إيديولوجيا دينية. أنت كمسيحي لا يمكنك أن تكون عند حزب الله. عليك أن تكون شيعياً. أن يوجد منظمة سياسية هي فقط لطائفة معينة. أنا ضد هذا الأمر بقوة. هذه نقطة.

ثانياً: أنا ضد حزب الله لأنه يرمز إلى امتداد الثورة الخمينية

التي تؤمن بأحادية الفكر، هذه نقطة عميقة جداً ومهمة، لأن احادية الفكر لا تؤمن بالحكم الحواري الحضاري. إذاً، أنت لست منهم، لأنك تؤمن بالتعددية. عالم مثل لبنان يلزمه التعددية الحضارية، الفلسفة الاسلامية الخاصة بالثورة الخمينية الاسلامية هي ضد النموذج اللبناني، لأنها لا تؤمن بالتعددية الحضارية بين المسيحيين والمسلمين. هم يريدون أن يفرضوا عليك فكراً جديداً، عليك أن توافق عليه وإلاّ..

س - هل مازالوا هكذا لغاية الآن؟ ألا تعتقد أنه حدث قليل من التطور؟

ج - قليلاً، وليس كثيراً. ثالثاً: لا يمكن أن تنكر، حتى نصرالله لا ينكر، أن كل المال الذي يصب عند حزب الله هو من إيران. أنا أريد أن اسألك، هل تعتقد أنت أن ايران تضع ملايين الدولارات في لبنان من أجلنا؟

س - وما هو هدفها من ذلك؟

ج - هدفها هو أن توجد قوة عسكرية لها في لبنان تحقق أهدافها. تريد أن تحارب اسرائيل؟ ليس هناك من داع لايران لتحارب اسرائيل، وتدعم حزب الله ضد اسرائيل، وعلى من يحصل الضرر Damage؟ على لبنان. الخوف من حزب الله أن أهدافه ليست لبنانية. اليوم يشارك الحزب بالحرب في سوريا، من أين جاء القرار؟ من مجلس الوزراء اللبناني؟ أم من طهران؟ هذه أمور مبدئية صغيرة. أنا لا أوافق على أن تكون هناك قوى سياسية لبنانية تشترك بحروب خارج لبنان دون قرار من مجلس الوزراء اللبناني، ولا أؤمن أن يكون لبعض الناس سلاح خارج الجيش اللبناني. لماذا يكون لديهم سلاح ولا يكون للجيش اللبناني سلاح؟

Riyad Nassar Library

س - لأن أميركا تمنع تسليح الجيش اللبناني كرمى عيون اسرائيل.

ج – عفواً. يوجد أيضاً نقطة هنا: أريد أن أشدد عليها. كل الحروب التي وقعت على لبنان، كانت بسبب المقاومة، أكانت مقاومة فلسطينية أو اسلامية. لم تعتدِ اسرائيل يوماً على لبنان لو لم يكن هناك مقاومة. حيناً المقاومة الفلسطينية، وحيناً آخر المقاومة الاسلامية، لبنان ليس هدفاً لاسرائيل بالنسبة للجغرافية واحتلال الأرض. اسرائيل لا تريد أن تحتل الأرض في لبنان، تريد المياه. تريد الغاز؟ نعم، لكن لا تريد أن تحتل.

س - لكنها تحتل مزارع شبعا منذ سنة 1948. يعني قبل أن تكون هناك مقاومة.

ج – هذا يلزمه عمل سياسي تقوم به. لكن الحروب التي وقعت في لبنان ودمرت لبنان كانت كلها نتيجة المقاومات التي كانت بلبنان. ولو لم تكن المقاومة الفلسطينية في لبنان، لما اندلعت الحرب سنة 1975، ولما كانت وقعت حروب اسرائيل.

س - سنة 1975 لم تكن المقاومة الاسلامية موجودة، كانت المقاومة الفلسطينية؟

ج – المقاومة الفلسطينية ثم المقاومة الاسلامية، هما السبب الأهم لاعتداء اسرائيل على لبنان. اسرائيل لم تعتد على لبنان هكذا من دون سبب.

س - ألا تعتقد أن اسرائيل أساساً كان لديها مشروع الدولة الصهيونية في الهلال الخصيب كله، عبر شعارها «أرضك يا اسرائيل من الفرات إلى النيل»؟ ممكن أنها عادت وعدّلته قليلاً لأنها رأت أن تنفيذ هذا المشروع صعب جداً. ومنذ عام 1948 هي تخلق ذرائع

حتى قصة محاولة اغتيال سفيرها في لندن.

ج – صحيح. لكن من الذي وفّر الذرائع؟

س - احياناً هي تخترعها، وليس دائماً الفلسطينيون.

ج – كان السبب أنه يوجد في لبنان قوة تعتدي عليها. ما كانت الدولة اللبنانية في أي وقت سبب تهديد للوجود الاسرائيلي.

س - مع هذا كله كانت اسرائيل تستوطي حائط لبنان. يلومون حزب الله مثلاً لأنه يمتلك أسلحة متطورة وأن الجيش يجب أن يكون لديه أسلحة. ولا يوجد دولة من الدول الكبرى والتي هي ضد ايران، تقبل أن يتسلح الجيش من ايران بدءاً من الولايات المتحدة الاميركية. هم يعطونه فقط نواضير، وجيبات، ويحجبون الأسلحة الثقيلة.

ج – هناك سبب لهذا. يقولون اذا أعطينا الجيش سلاحاً يصبح بيد المقاومة الاسلامية. ذريعة على الأرجح، وهم يتذرعون بهذا الموضوع. لكن الأكيد أن هناك قراراً دولياً بأن يبقى لبنان ضعيفاً. لماذا؟ لأن اسرائيل تريد هذا.

س - حزب الله ابتدأ يقاتل إلى جانب الجيش السوري بعدما دخل التكفيريون على نطاق واسع عبر البقاع والشمال وقاموا بمجموعة تفجيرات هائلة في الضاحية والبقاع، وفي الهرمل والنبي عثمان، ألا تعتقد أن مشاركة قوة حزب الله العسكرية، وهي هائلة، كانت ضربة استباقية جيدة لصالح لبنان؟

ج – طبعاً، لو أن حزب الله حصر عملياته العسكرية داخل لبنان وعلى الحدود (ok) لكن هو دخل إلى عمق الأراضي السورية، هو يحارب في حلب وفي كل مكان، يمكن أن الذي يقوم به هو جيد جداً للبنان. يمكن، لكن هنا يوجد نقطة مهمة أنه ليس قراراً لبنانياً.

الحركة الوطنية، و الجبهة اللبنانية

س - دكتور. هذه كلها أسئلة من وحي الأجوبة التي وردت في حوار أوتيل روتانا جفينور. الحركة الوطنية التي اتهمتها بالعمالة للفلسطينيين والسوريين، كانت ضد السوريين، في السنوات الأولى للحرب التي اندلعت عام 1975، في حين تعاونت «الجبهة اللبنانية»، خلال المرحلة الزمنية نفسها، مع النظام السوري الذي لعب جيشه دوراً ملحوظاً في اسقاط مخيم تل الزعتر.

ج - نعم. لقد تكلمت على قضية إفراغ الكلمة من محتواها. مثلاً الحركة الوطنية ما اسمها بالضبط؟

س - الحركة الوطنية اللبنانية.

ج - كانت أهداف الحركة تخدم مصالحها، ومصالح الفلسطينيين، ومصالح الغير، وليس مصالح لبنان. لذلك كيف نقول عنها انها حركة وطنية؟ لقد بلغ العهر السياسي في لبنان، حداً لا يعقل. فالذين يتكلمون باسم الوطنية في الحرب، يقولون لكل من ينادي بسيادة واستقلال لبنان أنت انعزالي، أو انهزامي أو ضد

العروبة والوطنية. ولكن إذا أنتَ كنتَ ضد لبنان تؤمن أن سوريا يجب أن تأخذ لبنان، وتؤمن بأن لبنان ليس شيئاً مهماً ولا بأس إذا أخذه الفلسطينيون أيضاً. برأيي، هذا ضد معنى كلمة الوطنية. كلمة وطنية تعني أن ألتزم بلبنان وبمصالح لبنان وبالقضية اللبنانية. الحركة الوطنية كان همّها مصلحة الفلسطيني، ومصلحة السوري، وإن كانا على خلاف معها. أؤمن بالعروبة الحديثة المبنية على العقل والعلم وعلى فصل الدين عن الدولة. أنا لا أؤمن بالعروبة الاسلامية. أؤمن بتعاون العرب بعضهم مع بعض مثل الاتحاد الاوروبي، في السياسة الخارجية، في الاقتصاد، وأمور كثيرة، شرط أن تحافظ كل دولة على استقلالها، وبالأخص لبنان. لأن لبنان برأيي مميز كثيراً عن العالم العربي. لا اريد أن يذوب لبنان في العالم العربي. أريد لبننة العالم العربي. لأن لبنان هو نموذج للديمقراطية. طبعاً نحكي عن شيء من الديموقراطية. لان كلنا نعرف أن الديمقراطية في لبنان ليست بخير. لبنان نموذج لشيء من الحرية، والتعددية الحضارية. وكما قلت لك إن اسرائيل ترمز للعالم أنها هي البلد الديمقراطي في الشرق كله، عندها حرية. ولكن ليس عندها التعددية الحضارية الموجودة في لبنان. التعددية نموذج المستقبل. كيف نحن نكون حضاريين، وأنت مسلم وأنا مسيحي، أنت لك رأيك، وأنا رأيي مختلف. حضارة الاديان والحضارات الاخرى كلها موجودة في لبنان. هذا النموذج التعددي الحضاري هو عكس النموذج الاسرائيلي. وحده لبنان في الشرق هو نموذج للتعددية الحضارية. وحده لبنان بكل حروبه وآلامه دولة لا دين لها. اسرائيل دولة لها دين. هم الآن يصرون على يهودية الدولة.

س - دولة عنصرية؟

ج - نعم عنصرية. وهنا السؤال: ما الفرق بينهم وبين داعش

Riyad Nassar Library

وكل الدول العربية الاخرى؟ في مصر دين الدولة الاسلام. كذلك السعودية. في لبنان ليس دين الدولة المسيحية. أنا لا أقول أن لبنان شيء مثالي (Ideal)، ولكني أقول رغم كل مشاكله، لبنان لا يزال نموذجاً للتعددية الحضارية. نحن لسنا راضين أن يكون على وضعه الحالي، نريده أن يكون أفضل بكثير. نريد الدولة المدنية. أي ان يتعلم العالم العربي من لبنان قضايا الحرية والديمقراطية. ولكني أقول ان العالم العربي يجب أن يتعلم من لبنان، لا العكس، كيف يكون حراً وعنده ديموقراطية ولديه فرح، وكيف لا تكون دوغما (dogma) الدين مسلطة عليه. هذه أمور أساسية. لذلك أنا عندي عتب كبير على المفكرين في الحركة الوطنية. ماذا عملوا للبنان؟

س - ولكن الحركة الوطنية كانت مؤلفة من قوى رئيسية....

ج - هم كانوا مع الفلسطينيين. صح أو لا؟ والفلسطينيون ماذا كانت أهدافهم؟ كانت عندهم فكرة الوطن البديل. لماذا نكذب على بعضنا. لو لم يكونوا في لبنان، لما وقعت احداث العام 1975؟ أنا معهم ألف بالمية مع حقوقهم، ولكن لست مع حقّهم بالاعتداء على لبنان.

س - كنت أريد القول أن الحركة الوطنية - كي نرجع لموضوع الطائفية - كانت مؤلفة من مجموعة من الاحزاب والتيارات السياسية أبرزها الجنبلاطي التقدمي الاشتراكي، والحزب الشيوعي، منظمة العمل الشيوعي والحزب القومي الاجتماعي. والبيان الذي أصدروه في بداية الاحداث كان علمانياً، حيث طالبوا بفصل الدين عن الدولة والزواج المدني الخ.

ج - ولكنهم لم يمارسوا ذلك. وكان البيان غطاء للعمل السياسي. من كان يموّل الحركة الوطنية؟ الفلسطيني ياسر عرفات

الذي كان يحكم بيروت عبر الحركة الوطنية. هذه حقيقة للتاريخ. وياسر عرفات وبعض الدول العربية النفطية هم الذين موّلوا كل جماعة الحركة الوطنية. هل كانت أهداف عرفات بناء لبنان جديد؟ يستطيع الانسان أن يقف ويقرأ خطاباً علمانياً يضمّنه ما يلذ ويطيب. ولكن ماذا عن الأفعال؟ هل كانوا بصدد بناء لبنان جديد؟ أو بصدد الوصول إلى الاهداف الفلسطينية؟ وللاسف كان القوميون السوريون، يقبضون من ياسر عرفات؟ لذلك أنا قلت لأنطون سعادة «قم من القبر وانظر». ومن المؤكد أن سعادة ما كان يوافق على تلك الأشياء. كان أنطون سعاده يريد بناء لبنان الجديد. وحتى لو لم يكن يؤمن باستقلال لبنان، كان يؤمن أن لبنان شيء مميز.

س - نعم. هو قال أن «لبنان نطاق ضمان للفكر الحر». لقد ميزه عن المجموعة السورية ولم يفصله عنها. ولكن ما رأيك «بالجبهة اللبنانية»؟

ج - أنا لست معهم ولا مع الحركة الوطنية. أنا مع لبنان. «الجبهة اللبنانية» تحالفت مع حافظ الاسد لأنها اعتقدت انه يحميها من أولئك، وهدفها كان لبنان. فإذا اردت أن تعرف ماذا يعمل فلان، يجب أن تعرف من يموّله. وعندما يكون الممول ياسر عرفات لا يكون النظام علمانياً ولا من يحزنون. ياسر عرفات والفلسطينيون حكموا رأس بيروت. أنا لما كنت هناك، كان الفلسطيني يقول لي، انت مين وما اسمك وماذا تعمل؟ صرت أشعر أني مواطن درجة ثانية، وحضرته صار مواطناً درجة أولى. لم يدافع أحد عن القضية الفلسطينية اكثر مني. أنا كنت خسرت مركزي في أميركا بدفاعي عن القضية الفلسطينية.

س - اذا رجعنا للجبهة اللبنانية ونحن ما زلنا بصدد موضوعنا

Riyad Nassar Library

الرئيسي عن الطائفية. اركان الجبهة اللبنانية وامثالهم حكموا لبنان فترة طويلة على الأقل من سنة الـ 43 إلى الـ 75 ولم يؤسسوا دولة علمانية.

ج - أنا ضد هؤلاء الذين كانوا في الجبهة اللبنانية. إنهم أيضاً مسؤولون إلى حد بعيد عن خراب لبنان، لأنهم لم يستطيعوا بناء دولة. نعم أنا لا أؤمن أن العامل الديني يجب أن يكون الرابط الذي يجمعني بك. الجبهة اللبنانية ان شئت أو أبيت كان نهجها يتمحور على العامل الديني. انت اذا كنت مسيحياً كانوا يصنفونك في الجبهة. أنا ضد هذا التصنيف. أنا مع لبنان التعددية الحضارية. أنا مع المسلم والدرزي. ولكن أنا ضد كل شخص مسيحي أو مسلم أو درزي يعمل ضد مصلحة لبنان ويتعاون مع دول خارجية للوصول إلى مصالحه في لبنان. أنا خلال الحرب ما كنت مع المسيحيين والجبهة اللبنانية. لكن أهداف المسيحيين كانت لبنانية، وأهداف الحركة الوطنية غير لبنانية. وباختصار كان بعضهم أسوأ من بعض.

الإنتشار اللبناني

س - في لبنان الوضع يسوء على الدوام! هل يدعو ذلك إلى اليأس؟ أم ان مغتربيه، وأنت منهم، يبعثون الأمل في نفوس المقيمين اليائسين؟

ج - لبنان مستمر رغم كل الظروف السيئة بسبب شعبه المتميز وانتشاره في العالم. وهؤلاء المنتشرون في أوربا وأميركا ساهموا في تنشيط الاقتصاد اللبناني وحصّنوه من الانهيار.

س - تسميه انتشاراً مع إنه إغتراب.

ج - أنا أسميه إنتشاراً، لأني لا أريد أن يكون اللبناني مغترباً عن بلده.

س - ولكنه اغتراب وأسبابه اقتصادية واجتماعية ومنها سياسية. هؤلاء المغتربون موجودون في دول تفصل بين الدين والدولة. هل ترى أنهم قد يلعبون دوراً في فصل أديانهم ومذاهبهم عن دولتهم؟

ج - بالتأكيد، لأنهم شاهدوا أهمية الأمر وعاشوه. لدي طالب مسلم ابن عائلة تقليدية، وهو ثائر فعلياً على الواقع التقليدي. والسبب أنه لمس الفرق. فأميركا تنظر إليه كباحث علمي وطبيب

Riyad Nassar Library

وانسان، وأنا أيضاً أنظر اليه على هذا النحو. الانتشار اللبناني قوة هائلة كآبار النفط، وهي قوة لا يمكن أن تنال منها إسرائيل كما تفعل الآن في سرقة نفطنا. هذه الثروة التي نملكها لم نستعملها بعد في السياسة. أعطيك مثالاً حيث سعينا مرة إلى بناء جامعة في جبيل كفرع لجامعة بايلر في هيوستن، فلم ينجح المشروع لأسباب محلية. ولكن موضوع الانتشار قادر على تغيير الواقع إذا ما سنحت له الظروف.

س - لكن هناك شريحة من هؤلاء لم تزل مشبعة بالطائفية؟

ج - لا يوجد شيء كامل. إذا كان هناك مريض أمامك وحالته صعبة فهل تتركه بلا علاج؟ بالعكس عليك السعي لطرح العديد من الخيارات كي تعالج المشكلة.

إن علاقة المنتشرين بالوطن تشبه العلاقة الفيروزية أي الحنين إلى الجذور. ولكن التواصل الحقيقي لم يتم بشكل فعلي ليتم استثمار النفط الانساني الذي نملكه.

س - موضوع الطائفية في أوساط الجاليات ليس مستجداً، ففي عام 1906 في نيويورك سقط قتيل بين المغتربين. حينذاك انقسمت صحف المغتربين على قاعدة مذهبية. ومن القلة التي رفضت هذا الانقسام كان جبران خليل جبران.

ج - قد يحصل هذا الأمر. ولكن ذلك لا ينفي أن لديهم تجربة جيدة تمثلت بتعرفهم إلى روحية فصل الدين عن الدولة.

س - سمعت العديد من مغتربينا في أفريقيا يشكون من إهمال حكومتهم لهم، في حين تدعم اسرائيل بقوة تجارها وصناعييها الذين يسعون إلى الحلول مكان المغتربين اللبنانيين. ألا يمكن إضافة سبب آخر ساعد على إضعافنا، وهو الانقسام الطائفي الممزوج

LAU Beirut Campus

بالانقسام السياسي، وقد ظهر جلياً في الجامعة الثقافية العالمية التي أصبحت جامعتين؟

ج - بل ثلاث جامعات. عندما اشتركت في المؤتمر الاقتصادي قلت في سياق كلمتي ان الانتشار هو النفط الحقيقي في لبنان. هذا نفط أهم من النفط، لأن الانسان أهم من المادة، ثم ان اسرائيل لا تستطيع أن تسرق الانسان كما تسرق النفط والغاز، قبل ان يجتمع أصحابنا السياسيون في لبنان ويتوزعوا الحصص.

س - يتوزعون ما تركته اسرائيل بعد نهبها البارع له؟

ج - تكون اسرائيل سرقت كل الغاز. فلديها المعرفة والعلم والتكنولوجيا، وأميركا والغرب معها. من يسأل إذا اسرائيل سرقت لبنان؟ لا أحد.

لا علاقة للانتشار اللبناني بالدولة. ولو كانت له علاقة لفشل. فالدولة لم تساند أي انتشار، لا في أفريقيا ولا في أميركا. في حين ساندت اسرائيل اليهود. الأمم المضيفة تحب اللبنانيين اكثر من غيرهم، لأن اللبناني كريم ومضياف وصاحب نخوة وصديق صدوق. ليس للاسرائيلي هذه المزايا. اللبناني لا الاسرائيلي يتأقلم وينصهر integrated مع المجتمعات المضيفة. لذلك قال أحد رؤساء الجمهورية في المكسيك: «إن لم يكن عندك صديق لبناني، ففتش عنه». كل ذلك، ودولتنا تطالب المغترب بزيارة الوطن ليصرف «كم قرش بالصيف».

أؤثر مصطلح «الانتشار» لأنه يرمز للعودة إلى حضن لبنان، في حين يرمز «الاغتراب» إلى الابتعاد عن الوطن الأم. من هنا مطالبتي بوزارة خاصة بشؤون الانتشار اللبناني. وأعتقد انها ستكون أهم وزارة في لبنان، تماماً كما هو حال وزارة النفط بالسعودية، ووزارة

Riyad Nassar Library

الفنون في إيطاليا. يجب أن نضع حداً لعلاقة الدولة اللبنانية بالمنتشر والمعبّر عنها بهذه الكلمات الخمس: «يا حبيبنا عطينا شوية مصاري»!

س - ولكن الجسم الاغترابي أو الانتشاري مصاب أيضاً بداء الانقسام الطائفي؟

ج - فتّش عن الانقسام الطائفي في لبنان الذي يغذي الانتشار بهذا الداء. ولكن طائفية الانتشار أقل بكثير، بسبب وجوده وسط حضارات لا تميّز بين مكونات الأمم. لذلك تعلّم المغتربون أن يكونوا لبنانيين أكثر من كونهم مسلمين ومسيحيين.

س - ثمة ناحية أخرى سلبية في الانتشار وهي ذوبان الجاليات اللبنانية بأوطانها الجديدة لدرجة اندثار الحنين إلى الوطن الأم.

ج - هذا الكلام صحيح، ولكن السبب يعود إلى دولتهم الغائبة عنهم. لقد فقدوا لغتهم الأم. اللغة «شغلة كبيرة» لأنها تحافظ على الهوية الحضارية. عندما أسّست جمعية لبنانية في هيوستن، كان من ثمارها المدرسة التي درّست العربية لأبناء الجالية. كانوا ستين طالباً. إذا اهتمت الحكومة اللبنانية بالمدارس العربية في الانتشار، يكون مردود المغتربين كبيراً على الوطن. انت لا تستطيع المحافظة على تراثك، وتجهل لغتك.

س - على ذكر الحكومة اللبنانية وواجبها إزاء المغتربين، إذا عدنا إلى بيت القصيد، ألا تعتقد انها - أي الحكومة - إذا فصلت الدين عن الدولة، تؤثر ايجابياً على المنتشرين الذين لم «يتعلمنوا» رغم وجودهم في دول علمانية؟

ج - طبعاً. فصل الدين عن الدولة في بيروت لا يساعد لبنان المقيم فقط، بل أيضاً لبنان المنتشر.

الجزء الرابع

رجال دنيا

أنطون سعاده

س - كثر دعوا لفصل الدين عن الدولة من المسيحيين ولعل أبرزهم أنطون سعاده حيث يقول «نحن لنا نظرة إلى الدين» وبالطبع لديه بحث طويل في هذا المجال حيث يشير إلى نقاط الالتقاء بين المسيحيين والمسلمين باعتبار أنهم جميعاً مسلمون، على حد تعبيره...

ج - صحيح، ويقول ان منا من أسلم لله في القرآن ومنا من أسلم لله في الانجيل، ومنا من أسلم لله في الحكمة أيضاً في ما يتصل بباقي الطوائف مثل الدروز والاسماعيليين.

س - لكنه لا يكتفي بما أشرت اليه وحسب، بل يأخذ القرآن ويدرسه ويقول في كتابه «الاسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية» أن التنظيم المدني في القرآن هو ليس الناحية الجوهرية في الدين لأنه أتى لاحقاً في إشارة إلى الآيات المدنية، أما الآيات المكية فهي روحانية وتشبه كثيراً الانجيل والدين المسيحي.

ج - طبعاً، لأن الاسلام يعود في البداية كدين المسيحية الجديد أو المتجدد.

Riyad Nassar Library

س - سعادة هنا أقنع المحمديين بوجهة نظره ومنهم نقيب الصحافة محمد البعلبكي على سبيل المثال وهو خريج الأزهر الشريف، واسمح لي بمناقشة فكرة فصل الدين عن الدولة معك خاصة أن الكثير من المسيحيين كانوا يقولون الانجيل دين ودولة.

ج - القصة مرتبطة بطريقة استعمال الدين. كمال أتاتورك مثلاً مؤسّس تركيا الحديثة، لم يوظف الدين كأداة سياسية، بل فصله عن الدولة. والحبيب بورقيبة فعل نفس الشيء في تونس حين منع تعدد الزوجات. بل إنه منع الصيام لأنه أثر على القدرة الانتاجية.

س - ومَن مِن فاصلي الدين عن الدولة عندنا أقرب اليك؟

ج - نظريتي في فصل الدين عن الدولة هي أقرب لأنطون سعاده أكثر من أي مصلح آخر رغم أنه لم يشدّد على أهمية حصر الدين في مكانه واحترامه وجعله نقياً من وحول السياسة.

س - بلى هو شدّد عليها، وعليك أن تقرأ رسائله إلى غسان تويني وهي منشورة، وهناك رسالة لفخري معلوف نشرتها في كتابي «سعاده وحرية المعتقد».

ج - أنطون سعاده شدّد على حرية المعتقد، ولكنه لم يشدّد مثلي على عظمة الدين كتراث عظيم، وهذا الخطأ هو الذي وقعت فيه الشيوعية.

س - لعلك أقرب من هذه الناحية إلى فكر المعلم بطرس البستاني الماروني الذي اعتنق البروتستانتية بدافع إيماني لا مصلحي، لذلك، حين أسس «المدرسة الوطنية»، عام 1863 اختلف مع البعثة الانجيلية التي أسست الجامعة الاميركية، بسبب إصراره على عدم التداول في السياسة وفي الدين في ورشتي التربية

والتعليم، وتحويل أي طالب من طائفته إلى المذهب الانجيلي، وكان يقول دوماً بـ «الفصل التام بين السياسة والرياسة»؟

ج - أنا أرى أن الدين ضرورة وقيم، ولكن يجب أن نضعه مكانه وأن نمنع السياسة من تلطيخه. ويجب أن نمنع أيضاً رجال الدين من تلطيخه. أنا مع الدين ولست مع رجال الدين، واليوم أمامنا فرصة كبيرة بوجود البابا فرنسيس الذي آمن بالتواضع، واليوم أرى أن هناك ضرورة ملحة في الكنيسة للعودة إلى التواضع.

س - لقد نوهت بسعادة وهو لديه مبادئ اصلاحية معروفة، ولم يكتف بفصل الدين عن الدولة، بل أصرّ في أحدها على «منع رجال الدين من التدخل في شؤون السياسة والقضاء» أي الأحوال الشخصية والزواج؟

ج - هو فكّر بشكل صحيح، أنا مثلاً إذا أردت أن أؤسس حزباً قد أسميه «الحزب القومي اللبناني الاجتماعي» مسقطاً الجانب السياسي.

س - ما رأيك في الأديب سعيد تقي الدين الذي نادى بفصل الدين عن الدولة في مسرحيته «نخب العدو» وجسّد ما دعا إليه في حياته، بدءاً من زواجه من فتاة مسيحية؟

ج - لم أعرفه بشكل مباشر. وأنا كنت قريباً من معظم تلامذة أنطون سعاده وعالجت البعض منهم. ولكن الوحيد الذي كنت معجباً ولا ازال بشخصه كأديب هو أنطون سعاده، لأنه لم ينفصل بسلوكه عن أدبه. ولغته العربية كانت متفردة وملتزمة، وأنا لا أعرف رجلاً في هذا الشرق التزم بفكره حتى الموت إلا أنطون سعاده.

Riyad Nassar Library

س - من هو السياسي أو المفكر اللبناني الذي تعتبره نموذجاً للعلمانية عدا أنطون سعاده الذي صنّفته سابقاً كأقرب علماني إليك؟

ج - لا بد أن هناك الكثيرين ولكني لا أعرفهم كلهم ولا يمكنني ان أعطيك أسماً محدداً.

س - أشرت سابقاً إلى رغبتك في تأسيس حزب سياسي. هل لك أن تحدّد معالم اختلاف حزبك العتيد مع حزب أنطون سعاده، الذي أكدت انك تلتقي معه في بعض النواحي؟

ج - أؤمن بعالم عربي ولكن مع الإبقاء على استقلال الدول العربية. وهذا حلم. فقد جربنا الاتحاد بين سورية ومصر، فكان كارثياً.

س - اقتصر مشروع سعاده على الهلال الخصيب ولم يشمل مصر.

ج - ولكنه شمل قبرص، وهذا غير واضح. أنا ضد ذوبان لبنان في سورية الطبيعية التي قد تؤلف وحدة سياسية أو وحدة حضارية. فمن الصعب المحافظة على الحرية والديمقراطية والتعددية الحضارية، إذا ذاب لبنان.

س - وسعاده دعا إلى أن يكون لبنان «نطاق ضمان للفكر الحر»..

ج - صحيح. ولكن كي يبقى لبنان كذلك يجب أن يكون مستقلاً. فإذا ذاب في العالم العربي أو سورية الكبرى، لن يبقى موئلاً للحرية.

س - سعاده ترك للمؤمنين بعقيدته والمنتمين لحزبه حرية

المعتقد الديني، وتجنب اتخاذ أي موقف حياله، كي يبقى القائد قدوة. لذلك، لم يعرف أحد اذا كان مؤمناً أو كان ملحداً. وترك حرية المعتقد للجميع وقصته مع فخري معلوف مشهورة ومنطقية وعادلة. لذلك عاد فخري معلوف بعد سنين واعطى سعاده الحق بعد تركه الحزب. مع ذلك، انقسم بعض المؤمنين بعقيدته إلى قسمين، فرأى فريق ان سعاده كان ملحداً. وأبرز هؤلاء الفنان والباحث نديم محسن. نجل رئيس الحزب الأسبق عبدالله محسن، ورئيسة المجلس الأعلى في الحزب هيام نصرالله. وفريق اخر أكد أن سعاده كان مؤمناً، وارتكازاً على قوله الشهير «كلنا مسلمون لرب العالمين».

أنا أقول لهم، أن لا أحد يعرف ما اذا كان سعاده مؤمناً أو ملحداً، كي لا يقتدي به المؤمنون بعقيدته. فمثلاً اذا قيل له: كيف صحتك. لا يجيب: نشكر الله. ما كان يستعمل المصطلحات والعبارات الدينية. بل يجيب: بخير. لقد ترك حرية الإيمان أو الإلحاد لأعضاء حزبه، وطالبهم بالالتزام بمبدأ فصل الدين عن الدولة.

ج - إلا أن الفرق بيني وبين سعاده أنه لم يعطِ الدين أهمية.

س - اعطى الدين أهمية. كتب بحثاً دينياً نُشر على حلقات في الصحف، ثم صدر في كتاب بعنوان «الاسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية».

ج - ولكنه لم يعتبره عنصراً أساسياً في الحياة الدنيا، كما فعلت.

س - لقد رآه كذلك شرط توحيده - كان يعتبر المسيحية والاسلام ديناً واحداً - وازالة الزوائد الطقوسية التي أضيفت اليه.

Riyad Nassar Library

ج – اعتقد أن المسيحية والاسلام يمكن أن يكونا خزاناً كبيراً للحضارة، ولكن خارج السياسة. إنها نقطة بالغة الأهمية. أنا درست أنطون سعاده. وهو تجنب الخوض في هذا الموضوع. ولم يكن لديه موقف واضح «وين بدو يحط الدين». أما موقفي فكثير الوضوح بالنسبة للدين. موقفي أن الدين عظمة وليس أمراً غير ذي أهمية. الدين عظمة، إن كنت مسلماً أو كنت مسيحياً. الحضارة رسالة، حتى لو كنت ملحداً. وأنا ليس لدي definition (تعريف) للالحاد والايمان العادي. يوجد كثير من المؤمنين هم ملحدون، وكثير من الملحدين مؤمنون. أعتبر الانسان الذي يؤمن بفلسفة المحبة والتواضع والغفران مسيحياً، ولو لم يكن يؤمن بأن المسيح جاء وصلب، إلى آخره. وبالمقابل، أعتقد أن أكثرية الملحدين أناس على مستوى أعلى بكثير من الناس العاديين. لأن هؤلاء فكروا وبحثوا ووصلوا إلى ما اقتنعوا به. وهل يكون أرثوذكسياً من ولد في بيت أرثوذكسي ولم يفكر يوماً ما معنى الأرثوذكسية. الملحدون فكروا. والإنسان يجب أن يعطى حرية المعتقد. أنا أريد أن أكون ملحداً، أنا لا أريد الايمان بالله، هذا حقي ولا يحق لأحد منعي. الاسلام قال لا اكراه في الدين، والمسيح ما أجبر أحداً، بل قال اذا أردت أن تترك ما لك إفعل واتبعني. ولكنه لم يقل بأنك مجبر على الايمان به. المسيح ما أجبر أحداً. أنا أؤمن بأن القيمة الحضارية للاسلام والمسيحية والدين ككل، تكمن في أنه خزان مهم وعظيم، للحضارة. ولكن أريد فصله ليس فقط عن الدولة، انما عن التربية. لأن في الدين شيئاً من الدوغما. والعقل يجب أن يحرر من الدوغما اينما كانت. أنا حر. أنا لما كنت في الجامعة الاميركية كان من الصعب عليّ القول إليّ لست مسيحياً، والمسيح كان دجالاً. كان مستحيلاً قول ذلك. الانسان يجب أن يكون حراً حتى الايمان بأن المسيح كان دجالاً، أو أن محمداً كان كذا. يجب أن يعطى الانسان هذه الحرية. ويمكن

قول الشيء نفسه عن الجامعة. فعندما أصدر صاحبنا الدمشقي «صادق جلال العظم» كتاب «نقد الفكر الديني»، طردوه من الجامعة الأميركية.

س - الجامعة الأميركية التي كانت «مرحرحة» من هذه الناحية!

ج – هذه إهانة للجامعة ولعلم الجامعة. لأن الجامعة هي الحرية. ويجب أن توفر حرية الفكر ليقال ما يراد قوله. وإلا لن نصل إلى المكان المطلوب.

س - ثمة شيء هنا نسيته لدى أنطون سعاده. إضافة إلى كتابه «الاسلام في رسالتيه». فقد كان بصدد تأليف كتاب عن «نظرتنا إلى الدين». ولكن عمره القصير – 45 سنة – حال دون ذلك.

ج – 45 سنة فقط؟ في أي عام ولد؟

س - نعم 45 سنة بالضبط. ولد في أول آذار 1904. كان نهجه الفكري عملياً. يعني كتير «قريب» من النهج الذي كنت تتكلم عليه من قبل.

ج – ألم يقل ليس لنا من عدو في الشرق إلا اليهود؟ هذا خطأ.

س - نشر سعاده مقالاً في مجلة «المجلة» البرازيلية التي أصدرها والده الدكتور خليل سعاده، بتاريخ 1 شباط 1925 قال فيه: «يوجد فريق من اليهود الراقين يفهم العلل وأسبابها ويعرف عقم دعوة الصهيونيين ويحاربها من أجل اليهود كما من أجل الإنسانية جمعاء. وقد اشتهر من هذا الفريق مورغنثو سفير الولايات المتحدة السابق في تركيا. ولكن لا يمكننا أن ننتظر من هذا الفريق أن يشهر

Riyad Nassar Library

حرباً على الصهيونية». وقد أثبتت الأحداث في 1948، و1967، صحة الكلام المنشور في 1925. ولكن سعاده لم يعد ينوّه في مقالاته باليهود غير الصهاينة لأن عددهم قليل وفاعليتهم أقل.

ج - هذا يتناقض مع مبدأ فصل الدين عن الدولة. فأنا لا أقول اليهود، بل الاسرائيليين. ليس لنا في هذا الشرق عدوّ إلا الاسرائيليون لا اليهود. لأنك أنت تحدد شعباً بدين. ونحن نريد أن نفصل الدين عن الدولة.

س - لم يكن مطروحاً «المصطلح» الاسرائيلي. ولم تكن اسرائيل وجدت. فقد قال سعاده «كلنا مسلمون وليس من عدو يقاتلنا في ديننا ووطننا إلا اليهود» في أوائل أربعينات القرن الماضي.

ج - ولكن ما كان يجب أن يتطرق لليهود كمتدينين. أعتقد أنه تسرّع في ما قال ولم يكن يعنيه. لأنه انت حين تقول «اليهود»، كأنك تقول المسيحية والمسلمين أو البوذيين. لا تستطيع تصنيف الناس دينياً، وانت تطالب بفصل الدين عن الدولة. انتبهت على هذه النقطة؟ هذا خطأ يشبه خطأ الأميركيين الذين يعتبرون كل المسلمين إرهابيين.

س - سعاده لم يعمم، بدليل المقال الذي نشره في «المجلة» البرازيلية عام 1925 وميّز فيه بين اليهود والصهاينة فنوه بسفير اميركا باسطنبول، بين 1913 و1916، مورغنثو. ولكنه استدرك ليؤكد على حقيقة أن مورغنثو (Henry Morgenthau)، واشخاص آخرين، من اليهود المناهضين للحركة الصهيونية، عددهم قليل، وتأثيرهم أقل. ألم يؤكّد تنامي التطرف وضمور الاعتدال لدى اليهود، خصوصاً في دولة «اسرائيل» وحكوماتها المتعاقبة، على

Riyad Nassar Library

صحة استشراف سعاده؟ وعلى ذكر التطرف الديني - السياسي، هل ينجح التطرف الداعشي في ما أخفق فيه نظيره الصهيوني، فيوفر بوحشيته الفرصة للعلمانيين المحمديين كي يعززوا مشروعهم الفاصل بين الدين والدولة، خصوصاً وأن الدواعش يقتلون ويمارسون همجيتهم باسم الدين الإسلامي؟

ج - فكرة حلوة. أنا مع هذه الفكرة. فنتيجة هذا التطرف غير المسبوق للاسلام السياسي، بات مطلوباً من الاسلام المعتدل أن يقوم بقوة على الاسلام المتطرف قبل أن يموت الاسلام ككل. ولكن دون أي شك فقد أوجدوا الفرصة للاسلام المعتدل والاسلام الحديث، لتحقيق فكرة فصل الدين عن الدولة بعد أن وظف الدين لممارسة الوحشية ضد الانسان. ومن المؤكد أن الاسلام المعتدل لا يؤمن بما يحصل، لأنه لا يمت للإسلام بصلة.

س - بعض الباحثين المسيحيين من رجال دين ودنيا كالخوري الحداد ونصري سلهب، اضافة إلى سعاده، يعتبرون المسيحية والاسلام ديناً واحداً من حيث الجوهر والخطوط العريضة. هل تشاركهم هذا الرأي؟

ج - أؤمن بأن الاسلام والمسيحية وكل دين هو قوة للحضارة إلا اذا استعمل هذا الدين كوسيلة للسياسة. من هنا أهمية فصل الدين عن الدولة. ولكن المسيحية والاسلام هما دينان مختلفان. كما قلت لك، أؤمن، كمسيحي، بأن في الاسلام ما يمكن أخذه والاستفادة منه. فالاسلام خزان حضاري يمكنني نهل أشياء كثيرة منه، وعلى سبيل المثال، أنا كمسيحي، وضعت آية اسلامية على مكتبي لأني أفتخر بها. وكثيرون طالبوني بتغييبها عن عيادتي، بسبب وجود ثورة في أميركا ضد كل شيء مسلم. ولكن أنا مصرّ أكثر الآن على إبقائها، لأني أريد أن أظهر وجه الاسلام الحقيقي.

س - هل تصنف نفسك كحلقة في سلسلة الرواد العلمانيين العمليين. كالمعلم بطرس البستاني، وعبد الرحمن الكواكبي، وأمين الريحاني، وأنطون سعاده؟

ج - لست متأكداً من أن الريحاني كان بمستوى أنطون سعاده ولا الكواكبي. امين الريحاني كان أديباً ولكنه ليس على مستوى أنطون سعاده، أو حتى الكواكبي وبطرس البستاني. اريدك أيضاً ان تعرف عني امراً مهماً جداً. يزورني الآن شخص مهم جداً من انكلترا. لم يكن لي معرفة به. عندما أتى إلى عيادتي استغرب كيف انا هكذا مقدار تواضعي. لأن الانكليز يسمون بالعنجهية. انا لا أريدك ان تصدر هذا الكتاب لشخصي وليس تسويقاً لشخصي. أريدك أن تكتبه تسويقاً promotion لفكري. أنظر إلى أنطون سعاده. انا واياه لدينا أشياء عميقة مشتركة.

س - فعلاً، هناك اشياء كثيرة مشتركة بينكما.

ج - هو ضحى أكثر مني. ليس لديّ جرأته. هو ضحّى بشخصه من أجل فكره. يمكن أنا لست جريئاً مثله. ولكني قاطع كالسيف. أيضاً قاطع كالسيف بالنسبة لنظريتي.

Riyad Nassar Library

جبران خليل جبران

س - معظم الأدباء لا يجسدون فكرهم العلماني بسلوكهم. هل تستثني جبران؟

ج - هناك أمر مهم جداً تكلمت عليه سابقاً وهو الالتزام بين الفكر والعمل، جبران لم يكن لديه التزام، بل كان جزئياً في تعاطيه، وأنا أعرف الأشخاص الذين سكن عندهم، وجبران الشخص لم يكن على مستوى جبران المثقف والأديب. ولم يكن جبران الانسان بمستوى جبران الأديب.

س - من هو الأديب اللبناني الذي جسّد أفكاره بسلوكه؟

ج - لا أحد، مثلاً مخائيل نعيمة لم يكن إنسانياً على قدر مخائيل نعيمة الأديب. هناك اسماء كثيرة نعرفها ولكن للاسف لم يتمكنوا من تجسيد أفكارهم من خلال سلوكهم.

س - أشرت سابقاً إلى الهوة عند جبران خليل جبران بين الفكر والفعل. فهل شملت الهوة علمانيته رغم أنه كرر فعل إيمانه بها، في حين تمحورت ممارسته على الطائفة؟

ج - كان جبران جريئاً ومنفتحاً و«فلت» من الكنيسة. وهو يحب الاسلام. انه، كفنان وكاتب، رجل عظيم بكل المعايير.

س - وكانسان؟

ج - لم يكن جبران الحقيقي عظيماً. هناك كثيرون من الفنانين والأدباء والفلاسفة، لم يلتزموا بما دعوا الآخرين اليه. جبران الشخص لم يرتقِ إلى جبران الأديب والفنان والفيلسوف. هو لم يرتفع إلى فكره ولم يلتزم بالمحبة. من خلال درسي له، وجدت انه لم يكن محباً لأصدقائه ومريديه. كان أنانياً، ولم يكن متواضعاً. وهو يمارس نهج المبالغة.

س - باستثناء الاستعلاء، خصوصاً حين يروي سيرته لصديقته ماري هاسكل، كان جبران مثالياً في تحركه الوطني والانساني. اشترك مع الريحاني ونسيب عريضة وعبد المسيح حداد وغيرهم بتأسيس جمعيتين هما «لجنة اعانة منكوبي سوريا وجبل لبنان» و«لجنة تحرير سوريا وجبل لبنان». كان هدف الأولى مساعدة المهاجرين لأهلهم في جبل لبنان الذين تعرضوا للمجاعة. واستهدفت الثانية، وهي سياسية، استقلال بلاد الشام عن السلطنة العثمانية. تولى جبران السكرتارية العامة في الجمعيتين. وكان أكثر المسؤولين نشاطاً ومتابعة وتضحية. تجلّت في الأولى انسانيته، وظهرت في الثانية واقعيته السياسية التي طغت على خياله المشهور به.

ج - أوافق مئة بالمئة. ولكن أنا لم أقل إنه كان لاإنسانياً. قلت إن شخصه لم يرتفع إلى مستوى فكره. ادعاؤه بأنه من أصول ملكية لا يليق مع عظمة تفكيره. شخصياً، أفتخر بأبي رغم انه كان كاتب عدل، وليس وزير عدل. مبالغته شكّلت ضعفاً بشخصيته. يجب ان نقول ذلك احتراماً للحقيقة. كذلك لم يكن حبه المزعوم لصديقاته بالجملة، يدل على التزامه بحقيقة مشاعره. كان يغضب منك إذا أبديت رأياً مخالفاً لرأيه. لم يكن محاوراً. كان لدى جبران اعتقاد بأنه نبي من الشرق. ولكن النبوة تقتضي الطيبة والتواضع. هناك صديق، له من العمر الآن مئة سنة، استضاف والداه جبران في منزلهما ببروكلن، لفترة معينة.

أخبرني أن الضيف مارس الاستعلاء والمبالغة معهما كما فعل مع ماري هاسكل. طبعاً هذا لا يمنع ان يكون جبران انسانياً وثائراً على رجال الدين، ومحباً للمسيحيين والمسلمين، ومتمتعاً بصفات كلها عظمة. ولكني أفنّد سيرته بموضوعية تقتضي ذكر أخطائه ومآثره، أين كان على حق، وأين أخطأ. مشكلتنا اننا نؤلّه عظماءنا ونتعالى عن اخطائهم، ومنها نهج الاستعلاء الذي مارسه جبران حتى في «الرابطة القلمية» التي أصرّ على ترؤسها. صحيح اني من اكثر المعجبين بجبران، ولكني لست مخدراً كما معظم الجبرانيين. انا معجب كثيراً بفلسفته وأدبه، ولكن إعجابي بشخصيته أقل.

س - ذكرت ان جبران لم يكن محاوراً. ولكن حواراً جرى في نيويورك بين جبران وسليم يوسف الخازن، واشترك فيه عدد من الأدباء، بينهم الأديبة والصحفية المتمصرة لبيبة هاشم. وهذا الحوار الذي استمر عامين، نشرت صحف نيويورك العربية اللغة وبخاصة «مرآة الغرب» مقالات المحاورين. ومع ذلك، يمكن ملاحظة قراءة استعلاء جبران على محاوريه، بين سطور مقالاته، في بداية الحوار. ولكنه اعترف ضمناً بما انتقده به سليم الخازن، فكانت مقالاته «حفار القبور» و«الأضراس المسوسة» وغيرهما، ثمرة ذلك الحوار. ناهيك بأن الحوار شكّل مفتاح فهم أسباب كتابتها والغاية الحقيقية منها، إضافة إلى كتابة عدة مقالات لم تنشر في أعماله «الكاملة» وقد نشرتها في كتابي «عقيدة حبران».

ج - كلامك معقول. وكما تعرف، لدي حساسية إزاء آفة الاستعلاء. لقد اختلفت مع الدكتور شارل مالك بسبب بعض الأمور ومنها الاستعلاء. لذلك عالجت الملوك والأمراء من دون عقدة نقص، والفقراء بعيداً عن التعالي. مرة قلت عن المتنبي انه «أخو آدمية» بمعنى إذا رشاه أحدهم يمدحه، وإذا لم يرشه يذمه. وبالطبع، لم أنفِ شاعريته المبدعة.

Riyad Nassar Library

حسن كامل الصبّاح

س - هل درست حسن كامل الصبّاح؟

ج - أجل ولكن ليس كثيراً وكافياً.

س - المدهش في شخصيته، وهو شيعي كما تعلم، كان مؤمناً ويصلي يومياً، لكنه عالم أنجز عدداً كبيراً من الاختراعات في الولايات المتحدة الأميركية. ويمكن الاستنتاج انه كان علمانياً؟

ج - ليس بالضرورة أن يتعارض الايمان مع العلم، أنا أعرف علماء كثراً مؤمنين وهم من العلماء المهمين. أنا مثلاً لا أقوى على فهم اليهودي الذي لا يأتي لحضور المحاضرات يوم السبت، إيماناً بطقوسه. الإيمان قصة كبيرة، ولكن الإختلاف يكمن في النظرة اليه. أنا مثلاً إيماني يختلف جداً عن إيمان البطريرك بشارة الراعي أو غيره من رجال الدين. إيماني صادر عن معرفة علمية دقيقة بالجسم وعظمة الخالق، إيماني يشبه نظرة أنشتاين الفلسفية.

غسان تويني

س - ماذا عن علمانية غسان تويني؟

ج - غسان صديق. وأظن أنه كان يمتلك القدرة على قيادة عمل من هذا النوع لو لم تسرقه السياسة المحلية بشكل كبير. لو أنه بقي في منأى عنها، لكان ذلك أفضل له. فهو كبير بشخصه، ولا ننسى الازمات التي عانى منها.

س - في ضوء معرفتك به، هل تعتبر انهماكه، في المرحلة الأخيرة من حياته، بورشة ترميم كنيسة مار جاورجيوس في ساحة النجمة للروم الأرثوذكس، تراجعاً عن علمانيته، خصوصاً وان العلمانيين يقودون، عادة، ورشات مدنية اجتماعية قومية كبناء المدارس والمستشفيات. حتى المعلم بطرس البستاني لم يشذ عن هذه القاعدة بدليل تأسيسه «المدرسة الوطنية». أضف إلى انهماك غسان بورشة الكنيسة تعاونه الوثيق مع البطريرك الارثوذكسي اغناطيوس هزيم؟

ج - أنا أميز بين العلمانية وفصل الدين عن الدولة. وفي ضوء هذا التمييز، أقول: لعل أقرب صديقين للبطريرك هزيم غسان وأنا. ولكن صداقتنا معه لم تؤثر على مواقعنا. هزيم كان رجلاً عظيماً ومنفتحاً، ولم يتقوقع مسيحياً، بل كانت يده ممدودة للإسلام وللجميع. ثمة نقطة أساسية أشدد عليها هي أن إيمانك

Riyad Nassar Library

بفصل الدين عن الدولة، لا يتعارض وترميمك لكنيسة. لا يوجد خطأ في ما قام به غسان. لذلك، أنا أرغب في ترميم كنيسة كي تغدو جميلة. ولا علاقة لكل ذلك، بتقارب غسان بهزيم الذي كان معنا فكرياً. وبالمناسبة، كان غسان يختلف عني ببعض الأمور؛ ولكن إجمالاً كنا هزيم وغسان وأنا ننظر بالمنظار نفسه. ليس هناك من يعرف البطرك هزيم أكثر مني، ولا أستثني اللاهوتيين. أنا عشت معه، كانسان وكمريض. كان رجلاً منفتحاً، وآزر بكل قوته مشروع فصل الدين عن الدولة. ويمكنك نقل هذه المعلومة عني.

س - أبديت استعدادك لترميم كنيسة. هل ترمم جامعاً؟

ج - نعم. ويفرحني ذلك. فالإسلام ليس عدواً. والمسيح أوصى بحب الأعداء، فكيف والمسلمون من مكونات الوطن. وبعضهم من أعز أصدقائي. الاسلام ليس عقبة بوجه الحداثة أو فصل الدين عن الدولة. العقبة تتمثل بالمسلمين لا في الاسلام، تماماً كما كان حال المسيحيين - لا المسيحية - في القرون الوسطى والحروب الصليبية. لم يقل المسيح للمسيحيين: تملكوا أراضي الغير، بل قال: من ضربك على خدك الأيمن فأدرّ له الأيسر.

كمال جنبلاط

س - كان جنبلاط الشخص علمانياً ويطالب بفصل الدين عن الدولة، ويوحي بحقه كدرزي أن يكون رئيس جمهورية. ولكنه لم يمارس العلمانية بل الطائفية في حزبه التقدمي الاشتراكي. ما رأيك؟

ج - هذا صحيح، بالإضافة إلى أنه كان إقطاعياً. هناك فصل كامل بين ما يقوله المفكرون وما يفعلونه، وكذلك رجال الدين. ما معنى الالتزام إذا تكلمت عكس ما تفعل، مثل اوباما الذي يلقي خطاباً يتعارض مع تطبيقه له على الأرض.

Riyad Nassar Library

نجيب عازوري

س - في ذهني شخصية نهضوية هي: نجيب عازوري الذي كان من أوائل الذين نبهوا إلى الخطر الصهيوني. في العام 1905 أصدر بالفرنسية كتاباً بعنوان Le Reveil de la Nation Arabe (يقظة الأمة العربية). واعتبر أولاً أن «الأمة العربية» تعني المشرق العربي فقط، بدون مصر ولا المغرب. وثانياً، فصل في مشروعه السياسي بين الهلال الخصيب والجزيرة العربية. واعتمد فصل الدين عن الدولة، بالنسبة إلى الهلال الخصيب. أما الجزيرة العربية، فاعتبرها مركز الخلافة الاسلامية والرسالة المحمدية ولم يطالب بفصل الدين عن الدولة فيها. هل يعارض فيليب سالم نجيب عازوري في هذه الناحية؟

ج - أنا أختلف عن المفكرين ومنهم عازوري الذين جاؤوا من المطلق. انا فلسفتي كلها مستمدة من تجربتي في الحياة مع الإنسان. وتجربتي كبيرة جداً. عندما عملت مع الرئيس جورج بوش الأب لمدة 6 سنوات، ورأيت كيف أن البيت الأبيض يعمل، وكيف الأميركان يعملون، وعملت ايضاً سنتين مع الرئيس كلينتون.. استفدت كثيراً من رؤيتهم السياسية. لكن رؤيتي الأصلية الأساسية هي الرؤية إلى الانسان ككل. إن أهم حق للأنسان هو الحق بالحياة. على الناس أن يكونوا متساوين بالحقوق والواجبات. أنا لا أقول بالتساوي مع

الفاسد. الناس متساوون بالحقوق والواجبات. هذه نقطة أختلف فيها مع شارل مالك. شارل يقول ان الناس يولدون متساوين. وهذا علمياً غير صحيح. لأن هناك أناساً يولدون وعندهم IQ.10، أو يولدون وهم يعانون مرض تأخر ذهني Mental Retardation. انهم يولدون مختلفين. اين يتساوون؟ عند الموت. لا يولدون متساوين. حتى بالحياة ليسوا متساوين.

س - إذا كان يوجد فوارق بين المجتمعات والدول والأمم، فهل يوجد دول لا تصلح ان يقام فيها نظام فصل الدين عن الدولة. مثلاً في السعودية؟ ما هو رأيك؟ هل تكون هناك دولة مستعصية على العلمانية؟

ج - ابداً. لكن للوصول قد يختلف الأسلوب. يمكن أن يكون المسار في لبنان بطريقة، وفي السعودية بطريقة اخرى. المسار يكون مختلفاً. لا اؤمن انه يمكن فصل الدين عن الدولة في السعودية بالطريقة نفسها التي يمكن ان تكون في لبنان. يجب ان نراعي خصوصية الأمم، وان لا نصطدم معها. انا اؤمن بأن الاسلام ليس في نزاع مع فصل الدين عن الدولة، وأنطون سعاده كان يؤمن بذلك.

Riyad Nassar Library

نجيب عازوري

س - في ذهني شخصية نهضوية هي: نجيب عازوري الذي كان من أوائل الذين نبهوا إلى الخطر الصهيوني. في العام 1905 أصدر بالفرنسية كتاباً بعنوان Le Reveil de la Nation Arabe (يقظة الأمة العربية). واعتبر أولاً أن «الأمة العربية» تعني المشرق العربي فقط، بدون مصر ولا المغرب. وثانياً، فصل في مشروعه السياسي بين الهلال الخصيب والجزيرة العربية. واعتمد فصل الدين عن الدولة، بالنسبة إلى الهلال الخصيب. أما الجزيرة العربية، فاعتبرها مركز الخلافة الاسلامية والرسالة المحمدية ولم يطالب بفصل الدين عن الدولة فيها. هل يعارض فيليب سالم نجيب عازوري في هذه الناحية؟

ج - أنا أختلف عن المفكرين ومنهم عازوري الذين جاؤوا من المطلق. انا فلسفتي كلها مستمدة من تجربتي في الحياة مع الإنسان. وتجربتي كبيرة جداً. عندما عملت مع الرئيس جورج بوش الأب لمدة 6 سنوات، ورأيت كيف أن البيت الأبيض يعمل، وكيف الأميركان يعملون، وعملت ايضاً سنتين مع الرئيس كلينتون.. استفدت كثيراً من رؤيتهم السياسية. لكن رؤيتي الأصلية الأساسية هي الرؤية إلى الانسان ككل. إن أهم حق للأنسان هو الحق بالحياة. على الناس أن يكونوا متساوين بالحقوق والواجبات. أنا لا أقول بالتساوي مع

الفاسد. الناس متساوون بالحقوق والواجبات. هذه نقطة أختلف فيها مع شارل مالك. شارل يقول ان الناس يولدون متساوين. وهذا علمياً غير صحيح. لأن هناك أناساً يولدون وعندهم IQ.10، أو يولدون وهم يعانون مرض تأخر ذهني Mental Retardation. انهم يولدون مختلفين. اين يتساوون؟ عند الموت. لا يولدون متساوين. حتى بالحياة ليسوا متساوين.

س - إذا كان يوجد فوارق بين المجتمعات والدول والأمم، فهل يوجد دول لا تصلح ان يقام فيها نظام فصل الدين عن الدولة. مثلاً في السعودية؟ ما هو رأيك؟ هل تكون هناك دولة مستعصية على العلمانية؟

ج - ابداً. لكن للوصول قد يختلف الأسلوب. يمكن أن يكون المسار في لبنان بطريقة، وفي السعودية بطريقة اخرى. المسار يكون مختلفاً. لا اؤمن انه يمكن فصل الدين عن الدولة في السعودية بالطريقة نفسها التي يمكن ان تكون في لبنان. يجب ان نراعي خصوصية الأمم، وان لا نصطدم معها. انا اؤمن بأن الاسلام ليس في نزاع مع فصل الدين عن الدولة، وأنطون سعاده كان يؤمن بذلك.

Riyad Nassar Library

عبد الرحمن الكواكبي

س - هناك مسلمون أيضاً يدعون إلى فصل الدين عن الدولة مثل عبد الرحمن الكواكبي ويحددون الدين كعلاقة بين الانسان وخالقه؟

ج - المشكلة تكمن في بعض المسلمين الذين يكفّرون كل من يفصل الدين عن الدولة. ولكن هناك اشخاص متنورون مثل الكواكبي وغيره كانوا ضد هذا الشيء. نحن نغالط من يرى أن فصل الدين عن الدولة هو تعدٍّ على الدين.

س - ما أشرت اليه لناحية استغلال الدين في السياسة، رآه الكواكبي عبر توظيف السلاطين العثمانيين لمآربهم السياسية. فكان انفتاحه على المسيحيين ودعوته للاقتداء بالولايات المتحدة والنمسا اللتين فصلتا الدين عن الدولة.

ج - هذا صحيح. حتى في أوربا كانوا يستعملون الله كأداة لأغراضهم الشخصية ويحكمون شعوبهم على هذا النحو.

كلوفيس مقصود

س - اريد ان اعود لموضوع مساواة الانسان بالانسان. على المستوى الفردي.

ج - ان المساواة بالحقوق والواجبات ليست مساواة بالمطلق. لا أؤمن بالمساواة المطلقة. ولكن التشابه كثير في النواحي البيولوجية. نحن مثل بعضنا. انت وأنا لنا عينان وأنف وفم، ولنا قلب، ولدينا امور كثيرة مشتركة. وما يفرق بيني وبينك هو قليل جداً.

س - وهذا الفارق. يا ترى، بين مجتمع ومجتمع. هل هو صغير أم كبير؟

ج - هنا الفرق اكبر. لكنه بالنسبة للجامع المشترك ما زال ضئيلاً نسبياً. يعني ان الفرق بين الباكستاني والأميركاني هو فرق حضاري. مع ذلك يبقى أنه انسان وأنه يمرض. ويبقى الكثير مما يجمع الباكستاني والأميركي. ما يجمعنا هو اكثر بكثير من الذي يفرقنا، وأكثر بكثير مما يميزنا. لأن الاختلاف بالرأي لا يجب ان يفرّقنا. مثلاً انا وكلوفيس مقصود، يوجد بيننا اختلاف جذري في السياسة. انا لا أؤمن بأن لبنان يجب ان يذوب في العالم العربي. مثلما اختلفت مع أنطون سعاده بالنسبة لذوبان لبنان في سورية الطبيعية. لا أؤمن بالعروبة بالشكل الذي يطرحها كلوفيس. أنا

Riyad Nassar Library

أؤمن بالعروبة بشكل آخر. لكن عندما نكون معاً انا وكلوفيس، نكون مثل الأخوة. انا لدي خمسة شباب إخوة. كل واحد يفكر بطريقة. نحن إخوة ونبقى اخوة. لكن كل أخ يفكر بشكل مختلف.

وهكذا يجب ان نتعامل بعضنا مع بعض. نختلف بالرأي. لكن نحن إخوة: لا نقدم على ضرب بعضنا لأننا نختلف. هذا شيعي وهذا سني، وهذا مسيحي، ولكننا جميعاً أبناء وطن واحد.

ثلاث لمعات

إن من يبحث الأديان في لبنان وجب عليه أن يمشي على الأخمصين، ويضع المخمل في الكفين، ويطلي بالعسل الشفتين، فأين التسامح عندنا أين؟

❖

ربّ طهّر قلوبهم، فصيّر شيَعهم شيعة، وطوائفهم طائفة، وجماعاتهم جماعة، فيمسي عداؤهم حباً.

❖

كل من يثير مناظرة عقيمة مثل (هل كان أبو مهذار السفسطائي مسلماً أم مسيحياً) يُعدم حالاً، ثم تنبش جثته مرة كل اسبوع، فيُعدم ثانية ويدفن من جديد.

سعيد تقي الدين

شارل مالك

س - هل ترى أن شارل مالك كان علمانياً؟

ج - لا لم يكن علمانياً، كان الدين المسيحي محورياً بالنسبة له. وكان رجلاً مؤمناً، ولكن إيمانه كان تقليدياً وفلسفياً. أنا إيماني مختلف. وحين تدرس كيفية عمل جسد الانسان لا يمكن إلا أن تصل إلى قناعة بعظمة هذا الجسد بما فيه من تفاصيل.

س - جميل إسهامك وإسهام شارل مالك في شرعة حقوق الانسان. وكنت ذكرت لي أن هناك عملاً ما قمت به يختص بالناحية الطبية الصحية. لكن الأجمل أن يكون أداء الأمم المتحدة مجسداً لتلك الحقوق المقدسة، وهو ليس كذلك. ألا ترى أن العبرة بالأعمال لا بالأقوال حتى لو كانت الأخيرة صحيحة؟

ج - أكيد نحن نبتدئ أولاً من الصفر حتى نصل إلى الهدف. اعتقد أن شارل مالك قام بعمل تاريخي في الأمم المتحدة، وأنا كتبت عن هذا الأمر. إذا أردت يمكنك الرجوع إلى مقالاتي في جريدة «النهار» حول موضوع حقوق الانسان. ولديّ كتابات كثيرة عن هذا الموضوع. في «النهار» يوجد مادة كبيرة جداً. دعني أقلّ لك ماذا أعرف. عام 1946، تمّ اقرار شرعة حقوق الانسان وكان شارل مالك مشاركاً في اللجنة كمنسّق Rapporter أو Coordinator

Riyad Nassar Library

(المقرر أو المنسّق). وإسهامه كان أنه واظب على متابعتهم حتى أقروا الوثيقة. ولو لم يكن شارل مالك معهم لما كانت شرعة حقوق الانسان. أنا راجعت كل ما يتعلق بحقوق الانسان، ويمكنني أن أقول لك بكل دقة، إنه لو لم يكن هناك شارل مالك، لما أبصرت الشرعة النور. وهذا عمل استثنائي Exception. تاريخي.

س - وماذا عن الدكتور شارل مالك الذي تربطك به صلة عائلية؟

ج - شارل مالك تربّى مع أمي سوية كإخوة. لذلك كل الناس يعتبرون أنه خالنا، ولكنه بيولوجياً كان ابن عم أمي. انما جدي أبو أمي ربّاه، لانه ابن أخيه. كان شارل ساكناً في احدى غرف منزلنا في بطرام، ويكتب مقالاته فيها. أمي كانت قمة في التواضع وحب الناس. قروي فقير يرتدي سروالاً ولا يعرف كيف يدخل إبنه إلى الجامعة، جاء إلى منزلنا، كانت أمي في المطبخ فسألها: «معالي الوزير هون؟»، قالت له بالحرف الواحد: «يا ابني نحن ليس عندنا هنا معالي الوزير، أتريد شارل؟» وتصرفت التصرف ذاته مع ايلي ابنها عندما كان يقول لها أحد عنه معالي الوزير. قال لها نعم أأستطيع رؤيته؟ أمسكته بيده وأتت به لهنا. أمي كانت انسانة مؤمنة بالتواضع ومحبة الناس. دخلت لغرفته. أنا كان لي من العمر 14 أو 15 سنة، وقد مشيت وراءها ووراء الرجل. لذلك أنا حتى يومنا هذا، عندما يأتيني مريض فقير في بطرّام، لا أقول له: أنا الآن عندي موعد ولا أستطيع رؤيتك، لأني أنقض كلام والدتي. لانه بالنهاية إن لم يكن الفكر والمعرفة في خدمة البشر لا معنى لهما. أن يحترم المرء نفسه ويحترم فكره. هذا أنا، وهذا موقفي من الفكر. وأنا مستاء من المفكرين العرب. لأن معظمهم التجأوا إلى السلطة كما التجأوا في لبنان إلى رجال المال، ونسوا قضايا شعوبهم، ونقلوا

البارودة من كتف إلى كتف الف مرة في السنة، كل ذلك لمصالح شخصية. هم لا يعرفون أن أهم ما يمكنك أن تملك ليس قطعة ارض ولا بيتاً أشبه بقصر، بل أن تملك نفسك وتحترمها. هذه أكبر قوة. وكل من لا يصل إلى هذه المرحلة المتقدمة، ليس مهماً.

س - هل يمكن تسمية أحد المفكرين العرب الذين تأخذ عليهم التجاءهم للسلطة؟

ج - أنا شخص لا أحب السلبيات. ولكن لأعطيك فكرة من أنا. أنا الآن مثلاً كنت أختلف مع غسان تويني بقصة محمد حسنين هيكل. لانه من الذين استعملوا فكرهم لمصالحهم الشخصية، وليس لخدمة قضايا شعوبهم. كيف يكون مفكراً، ويرتهن لجمال عبد الناصر ويؤلف له كتاب «فلسفة الثورة»، ويوافق سلفاً بأنه اذا انتقد أخوه جمال عبد الناصر، يصبح في اليوم الثاني في السجن.

س - هل ترى ان الوثيقة «المالكية» مازالت صالحة؟ ألا تحتاج إلى تعديل؟

ج - نحن اليوم سنة 2016. لم تعد الأمور updated وما لا يتطور يموت، يصبح مجمداً frozen، يتجمد في التاريخ. هذه الوثيقة بحاجة إلى تعديل، كيف؟ إن اهم حق برأيي الآن للانسان، ليس الحق بالحرية، أو بالدين، انما الحق بالحياة. أولاً، الانسان يريد أن يعيش حتى يتمكن من أن يمارس الحقوق الأخرى. لذلك انا أطالب بتغيير شرعة حقوق الانسان واعادتها إلى المرجع الأول في الحق، وهو الحق في الحياة. كيف؟ انت لك كل الحق بالحياة، واذا أُصبت بمرض لا تستطيع أن تدخل إلى المستشفى؟ يعني ان دولتك لا تؤمّن لك الحق بالحياة. والحق بالحياة يمر عبر الحق في الصحة. من دون الصحة لا يوجد حياة، لذلك هذا التغيير مطلوب.

Riyad Nassar Library

لأنه عندما تغير هذه الشرعة تفرض على الدول الاهتمام بمواطنيها صحياً وطبياً. أما الآن فثمة دول كثيرة لا تولي اهتماماً بالعناية الصحية لأنها، برأيها، ليست معياراً لحقوق الانسان. ماذا يفيدك اذا انت لديك الحق بالحرية وأنت تموت ولا يمكنك أن تدخل إلى المستشفى؟ كيف لك الحق بالحرية، وليس لك الحق بأن تستبق المرض أو بأن تتمكن من معالجته عندما تصاب به. هذا برأيي أهم حق. هذا أهم من الحرية.

س - هل اعتمدوا هذا التعديل؟

ج - ليس بعد. وأنا أحاول جاهداً أن أقوم به. أن أغيّر شرعة حقوق الانسان بطريقة يصبح الحق الأول والأهم هو الحق بالحياة. وهذا الحق يمر في الحق بالصحة. فنوفّر للمواطن الفقير القدرة على الاستشفاء دون منّة من أحد. لماذا تجذب استراليا عدداً كبيراً من المهاجرين؟ لأنها توفّر لمواطنيها الطمأنينة الصحية. أليس عيباً على اميركا أن يكون عندها ملايين البشر غير المؤمّنين صحياً بطريقة تمكنهم من الدخول إلى المستشفى لأنهم لا يمتلكون المال؟

لذلك أنا أقول إن أهم حق للانسان يجب على الدولة أن تؤمّنه لمواطنيها هو الحق بالحياة، ابتداءً من ساعة الولادة. يجب على الدولة أن تهتم بك حتى لا تمرض، وفي حال مرضت أن يكون لك القدرة على أن تتعالج.

س - نحن نتكلم على الأمم المتحدة وعلى الانسان والمساواة بين البشرية. في المقابل نرى أن «شرعة» الطائفية مزدهرة جداً اليوم وشاملة الكرة الأرضية. ألا يجب على الأمم المتحدة أن يكون لها دور بمكافحة هذا السرطان الاجتماعي - السياسي؟

ج - الأمم المتحدة ليست قادرة. هي ضعيفة جداً. وإن النظام

الذي يعمل به في مجلس الأمن، نظام مخيف، لأنه يحق لأي دولة من الدول الأعضاء الدائمي العضوية في مجلس الأمن استعمال حق الفيتو (النقض) ضد أي قرار لا يناسبها. يعني، ألا يحق مثلاً لدولة مثل سوريا، أكان الخطأ على الرئيس أو على سواه، أن تجد الأمم المتحدة طريقة توقف آلة الموت التي تحصد مئات الآلاف من الناس في هذه الحرب وبهذه الطريقة، وأن تؤمّن لهم السلام والمناخ للتغيير السياسي. رغم ما هي عليه من ضعف؟ مازالت الأمم المتحدة ضعيفة جداً. لكن وجودها أفضل من عدم وجودها.

س - كونك من دعاة فصل الدين عن الدولة. هل تقترح أن تتضمن شرعة الأمم المتحدة. على اعتبارها برلمان وحكومة العالم، بنداً خاصاً بفصل الدين عن الدولة؟

ج - أكيد. لكن هذا يمكن أن يكون كتوصية فقط recommendation، وأعتقد أنه في حال صدور هذه التوصية، يكون لها قوة تأثير. لأن أهم ما يمكن أن نعمله اليوم من أجل تحسين أداء الحكومات في العالم هو تحسين الوضع الانساني للمواطن بفصل الدين عن الدولة. أميركا برأيي هي، على كل علاتها، المكان الوحيد على الأرض حيث المهم فيه ليس دينك أو لونك، بل هو مدى إسهامك contribution. وهذا ليس موجوداً في كل العالم، لا في روسيا ولا في الصين.

Riyad Nassar Library

ثلاث لمعات

لا يُحارب التعصب الطائفي بتعصب طائفي مماثل، كما لا يُحارب الجهل بالجهل.

❖

اقتتالنا على السماء أفقدنا الأرض.

❖

لا يمكننا ونحن نبغي الصحيح، أن ننظر إلى الدين بمنظار سياسي، ولا إلى السياسة بمنظار ديني.

أنطون سعاده

الجزء الخامس

رجال دين

البطريرك بشارة الراعي

س - عندما كان البطريرك بشارة الراعي مطراناً، اشترك مع غيره من رجال الدين المسيحيين والمحمديين بإفشال مشروع الزواج المدني في حقبة حكم الرئيس الهراوي. وحينذاك أُقيمت ندوة في النقّاش (انطلياس) قال فيها إن كل مسيحي يتزوج مدنياً يصبح خارج الكنيسة. سألته هل هذا رأي الفاتيكان؟ فأجابني «نعم»، فقلت له: كيف تبرر الزواج المدني في ايطاليا وفي أوربا الذي لم يعارضه الفاتيكان يوماً، فلم يجبني.

ج – هذا صحيح. وفي لبنان ليس لدينا فقط دويلات سياسية وحسب كحزب الله الذي يمتلك العسكر، بل هناك دويلات طائفية، وفي الطائفة نفسها يوجد دويلات. هؤلاء في حال تم الفصل بين الدين والدولة تزول هيبتهم، لذلك يرفضون الفصل.

كثر يقولون لي أني رجل لديّ مشاغل كثيرة، فلمَ أهتم بكل هذه الأمور؟ لكني أقول لهم أن من واجبي الكلام، وليس لدي من يدعمني من الدول. الحكي مهم. وأنا استمررت في الكلام حتى

دعوني لأول مرة في تاريخ الأمم المتحدة لأتكلم على حقوق الانسان. ولو لم أتكلم كثيراً لما وصلت إلى حيث أنا اليوم.

س - من حقك أن تنتقد حزب الله من ناحية إيديولوجيته الدينية التي تعارض فصل الدين عن الدولة. ولكنك تظلمه كثيراً عندما تعتبره دويلة طائفية، ولا ترى دوره الوطني في منع اسرائيل من استباحة لبنان. ولنعد إلى الحوار حول رجال الدين والبطريرك الراعي والبابا الحالي فرنسيس الذي طوق عنقه بصليب خشبي بدلاً من الصليب الذهبي. هل برأيك أن البابا فرنسيس هو نموذج لرجل الدين المعاصر؟

ج - إن البابا فرنسيس هو نموذج لفضيلتين مهمتين جداً، الفضيلة الأولى هي التواضع. وهو يحاول إعادة الكنيسة المسيحية إلى التواضع. اذا ذهبت اليوم في لبنان إلى الكنيسة ترى كيف يُعامَل المطران داخل الكنيسة بطريقة غير معقولة، كأنه إله. هذا ضد تعاليم المسيح. المسيحية تعني التواضع. المسيح دخل إلى أورشليم راكباً جحشاً ابن أتان. كان إنساناً بسيطاً. لبسه وتصرفاته كانت كلها مثال البساطة والتواضع. هذه ميزة مهمة في المسيحية. لم يعد يوجد تواضع في المسيحية. المطارنة والكرادلة والخوارنة يريدون العيش كأمراء. لذلك أعادها البابا فرنسيس إلى مسارها الحقيقي. وهذه عظمة. أنا أؤمن بقوة التواضع. لأن المسيحية هي التواضع. في المسيحية يوجد ثلاثة أمور مهمة واذا لم تمارسها فأنت لست بمسيحي، حتى لو أنك تذهب إلى الكنيسة وتمارس كل هذه الطقوس. وهذه الأمور الثلاثة هي: المحبة، والغفران، والتواضع. البابا فرنسيس اعاد التواضع إلى الكنيسة. ثانياً أعاد الكاهن إلى هويته عندما قال له: إذا كنت لا تؤمن بما تقوله، لا تقله، يجب أن تلتزم بكلامك. وطلب من رجال الدين أن يكونوا صادقين مع أنفسهم. وهذا حدث جديد في مسار الكنيسة.

س - هذا بالنسبة إلى الكنيسة الكاثوليكية. لكن ماذا تقول عن الكنيسة الارثوذكسية التابع لها مذهبياً؟

ج - لدى الكنيسة الارثوذكسية مشكلة، لأنها متفرقة. ليس لها قائد واحد. البابا فرنسيس قائد لكل الكاثوليك، لكن لا يوجد قائد لكل الارثوذكس، أو لكل الكنائس الشرقية. هناك بطريرك في روسيا، وبطريرك في أسطنبول، وبطريرك في اليونان، وهم متساوون. إذاً، ليس للأرثوذكس قيادة، وتالياً لا يمكن القيام بأفعال كبيرة. هذه تعلمتها أنا من خلال عملي. فمن دون قيادة واحدة لا يمكن أن تصل إلى أي مكان. تحتاج إلى قائد واحد. برأيي، يجب على الكنائس الشرقية أن تتحد أولاً، وثانياً يجب أن يكون لديها قائد واحد، وعلى الارثوذكس في اسطنبول وفي روسيا أن يختاروا واحداً. عندما قرروا وحاولوا أن يجتمعوا معاً، فرط الاجتماع. الروسي لم يأت لأن الاجتماع كان برئاسة بطريرك اسطنبول. اختلفوا على من يترأس. الكنيسة الشرقية تحتاج إلى ترميم كثير، لأنها مازالت مضعضعة.

س - الأديب مارون عبود انتقد تعيين البطريرك المعوشي كاردينالاً. قال له: كيف تقبل أنت أن تأخذ منصب كاردينال وتصبح فعلياً تحت سلطة البابا، في حين أنك كبطريرك، رئيس مثل البابا؟ طبعاً هذه الناحية مرتبطة بنوع من السيادة المشرقية على الذات. ومن جهة ثانية، أن هذا التقدم في الفاتيكان خصوصاً الآن، وحتى أيام البابا السابق يوحنا، يدعو إلى القول: ليت الكنيسة الكاثوليكية في لبنان تقتدي بالبابا على الأقل، طالما هي خاضعة لسلطة الفاتيكان. ليتها مثله تفتح ورشة إصلاحات.

ج - أنا لا أوافق مارون عبود. يمكن في ذلك الوقت كان يوجد مناخ مختلف. اليوم أعتقد أنه من الجيد جداً أن يكون بطريرك

لبنان كاردينالاً، لأنه يرفع لبنان إلى العالمية، إلى الفاتيكان. ليس هناك من خطأ أن تكون مع الفاتيكان، ولا يمكن لبطريرك لبنان أن يتصرف كرئيس مثل الفاتيكان.

الفاتيكان دولة مهمة جداً، وكبيرة، ونحن نستمد منها قوة. اعتقد أن صيرورة البطريرك الماروني كاردينالاً أمر جيد. ليس الاستقلال عن الفاتيكان مثل الاستقلال عن فرنسا. أنا اعتقد أن هذه العلاقة بيننا وبين الفاتيكان مهمة جداً. لأنها تفتح للبنان مدخلاً إلى العالم. لم يبق للبنان مدخل إلى العالم سوى الفاتيكان.

س - لكن هذا يُحدث تأثيراً سلبياً على المسيحيين المشرقيين، يعني لقد باتوا غربيين في معتقدهم الديني، وإلى حد ما في حياتهم الاجتماعية، عندما أصبحت كنيستهم الشرقية تابعة للفاتيكان.

ج - هذه ليست الكنيسة الغربية، هذه كنيسة الكاثوليك. عندما نقول الكنيسة الشرقية يعني غير الكاثوليك. اذا كانت الارثوذكسية مرتبطة باسطنبول ليس لدي مشكلة. هذا يعطيها قوة وزخماً. وهذا لا يعني اننا نحن منبطحون. إن أهم ما قاله الفاتيكان: من أجل أن تبقوا في الشرق، يجب أن تحيوا واخوانكم المسلمين معاً. هذه القصة كبيرة جداً. الفاتيكان هو قوة للكنيسة المارونية في لبنان. وعلى الموارنة أنفسهم أن يعرفوا كيف يستخدمونها.

س - ولكنهم لم يريدوا الاستفادة منها بدليل هذه المفارقة: الفاتيكان الموجود وسط ايطاليا وأوروبا، وافق على فصل الدين عن الدولة، والزواج المدني، كذلك هو حال المرجعيات الارثوذكسية في تركيا واليونان وروسيا، والكنائس الشرقية كانت وما زالت تعارض فصل الدين عن الدولة والزواج المدني الإختياري!

فهل يعود سر الامراض الطائفية في لبنان، خصوصاً على المستوى الرسمي، إلى الاساس الطائفي وتحديداً المذهبي الماروني الذي ارتكز عليه الاستقلال والنظام إبان الانتداب الفرنسي، وقد تولى البطريرك الحويك دوراً ملحوظاً في تحديد جغرافية «دولة لبنان الكبير» حيث رفض لبننة وادي النصارى بسبب أكثريتها الأرثوذكسية رغم وجود بعض القرى المارونية فيها؟

ج - أنا دائماً أقول أن لبنان بدأ تحت الانتداب بفكرة أن الرئيس مسيحي، ورئيس الوزارة سني، على أن يتغيّر هذا العُرف في المستقبل. نحن لم نعمل شيئاً لنغيّره. نحن كل ما عملناه أننا رسّخناه. فالطائف رسّخ الطائفية. قبل الطائف لم يكن منصوصاً أن رئيس الجمهورية يجب أن يكون مارونياً، ورئيس الوزراء يكون سنياً ورئيس المجلس النيابي شيعياً. كان ذلك عرفاً. ولكن الطائف رسّخ طائفية الرئاسات الثلاث الأولى. يعني أن لا أحد منذ الاستقلال لليوم يريد فصل الدين عن الدولة إلا بعض المفكرين، لأسباب منها أن فصل الدين عن الدولة يضر بمصالح كل رجال الدين. فغدا لبنان، ليس فقط دويلات الاحزاب، أي دويلة القوات، ودويلة التيار الوطني الحر، ودويلة سعد الحريري، ودويلة جنبلاط، وهي دويلات عسكرية.. إنما أيضاً دويلات طائفية وهي الأخطر. كل مطران وكل بطريرك أخذ حصة في السياسة كأنه زعيم سياسي. واذا هو فصل الدين عن الدولة خسر كثيراً من سلطته وقوته. لذلك كل رجال الدين، مسيحيين ومسلمين، يرفضون فصل الدين عن الدولة. كل رئيس ديني يريد إبقاء الوضع الطائفي على حاله، لأنه مستفيد. رجال الدين في لبنان بدءاً من البطريركية المارونية، منعوا فصل الدين عن الدولة.

س - رجال الدين في لبنان، وبخاصة المفتي، رفضوا حتى الزواج المدني الاختياري. لماذا؟

ج - لانهم يخسرون نفوذهم وسلطتهم. كما أن الزعيم السياسي ضد قيام الدولة، لماذا؟ لأنها تطيح أهدافه. وعلى سبيل المثال: مجرم يقتل إنساناً ويوضع في السجن. يأتي الزعيم السياسي، ويطلق سراحه. أي أنه يهدم الدولة بدلاً من أن يشارك في بنائها.

س - ثمة مقولة يرددها الكثيرون من السياسيين والصحفيين في لبنان وهي ان بكركي مرجعية وطنية. هل تشارك هؤلاء رأيهم؟ أم ترى ان بكركي مرجعية دينية مذهبية فقط لا غير؟

ج - أؤمن ان بكركي هي مرجعية دينية. طبعاً هي تلعب دوراً في الأمور الوطنية، وتأخذ مواقف؛ وهذا حقها. ولكنها ليست مؤسسة وطنية، ولا هي مرجعية في هذا المجال.

المفتي بدر الدين حسون

س - في تونس أقفلوا 40 مسجداً تتم الدعوة فيها إلى التطرف؟

ج - أي تطرف يجب أن يوقفه المجتمع المدني والسياسي كي لا يتمادى في إلغاء من يخالفه الرأي.

س - هذا الأمر ينسحب على بعض رجال الدين المسيحيين أيضاً؟

ج - معظم رجال الدين المسيحيين والمسلمين هم الأكثر بعداً عن الدين.

س - إلى أي مدى ترى التناقض في المواقف لدى رجال الدين والسياسة والفكر في لبنان؟

ج - قلت لك في لبنان لا يوجد التزام فعلي لرجال الدين في ما يقولونه حول الدولة المدنية، وهناك انفصام في الشخصية لديهم بين الفكر والعمل. يقول الامام علي بن ابي طالب «أنت عبد للكلمة التي قلتها وسيد الكلمة التي لم تقلها بعد». وأنا أحب هذا القول كثيراً. ولكن للاسف لا أحد يطبق هذا القول على الارض، الكلمة بالنسبة لهم ليست التزاماً. حتى «الحركة الوطنية» في لبنان

كانت أبعد ما تكون عن الحركة الوطنية، بل كانت حركة فلسطينية سورية لتقويض الدولة اللبنانية. نحن شعب كاذب لا يحترم الحقيقة، أنا أحترم كمال جنبلاط ولكنه تصرف بإزدواجية.

س - قلت إنك مع الدين وضد رجاله ونسائه أيضاً. هل يعني قولك إن الدين ليس بحاجة إلى دعاة، بل إلى مؤمنين ممارسين.

ج - أريد أن أصوّب. أنا لست ضد رجال الدين. بل أنا ضد تعاطيهم بالشؤون الدينية والوطنية المتعلقة بالدولة. لست، مثلاً، ضد بشارة الراعي كشخص أو كرجل دين، ولا ضد المفتي. أنا ضد انشائياتهما السياسية.

س - كأن رجال الدين عندنا تحولوا إلى رجال سياسة. ولنا من الذين يطلون علينا عبر الفضائيات، خير مثال. والواحد منهم يكاد «يمرّق» كلمتين عن الدين، في مقابلة حافلة بالكلام السياسي البحت.

ج - والآن، هناك ظاهرة يتفرد بها لبنان، وهي ان سياسيينا يزورون رجل الدين، ثم يتوجهون نحو المنصة ليصرحوا بأمور سياسية. هذا شيء مرفوض لأنه ضد الدين وضد الدولة. وهو يؤكد ان ما نسمعه من رجال الدين من تصريحات تؤيّد فصل الدين عن الدولة، يبقى في حيز الحكي البعيد عن الفعل.

س - ألا يوجد استثناءات؟

ج - نعم. ولكنها قليلة جداً.

س - ألا تتوقع من البلدان العلمانية الصغيرة أو الكبيرة مثل تركيا، أن تصل إلى وقت تتراجع فيه عن علمانيتها بدلاً من تعميقها؟

ج - كيف لا أتوقع؟ خصوصاً وأن التطرف الديني يضرب الدنيا. معالجة هذا التطرف الديني يجب أن تكون من قبل الاسلام المعتدل. لا يمكن محاربة التطرف الديني الاسلامي من خارج الاسلام المعتدل. اوباما يخطئ عندما يكذب ويقول أن (التطرف الديني) ليس له علاقة بالاسلام. هذا ليس صحيحاً. هذا له علاقة بالاسلام. نحن اذا لم نقل الحقيقة لا يمكننا أن نعالج المشكلة. الارهاب اليوم هو نتاج فكر اسلامي، لا يمت بصلة إلى صلب الدين الاسلامي. لكن هو ناتج عنه. هو نتاج المدارس السلفية التي أسستها السعودية في الشرق كله. طبعاً له أسباب أخرى وأهمها الجهل وتداعيات القضية الفلسطينية. لكن لا يمكننا أن ننكر أن هذا نتاج من الاسلام.

أنا تكلمت عن أهمية التربية على المدى البعيد. لكن اليوم في الواقع الحاضر، نحن بحاجة إلى موقف قوي وصلب من الاسلام المعتدل. سمعنا من الأزهر كلاماً جميلاً جداً، ومن حين إلى آخر تعقد مؤتمرات صغيرة. لكن لم نر موقفاً على الأرض قوياً ومهماً من قبل قوى الاعتدال ضد التطرف الديني الاسلامي.

س - مثلاً في سوريا. المفتي بدر الدين حسون له مواقف عنيفة ضد التطرف ودفع ثمن ذلك مقتل ولده. وفي العراق مواقف عدد من المشايخ أقوى بكثير من موقف الأزهر.

ج - لكن هذه المواقف مازالت مفككة. واحد في سوريا وثان في العراق وثالث في مصر. لكن لا يوجد تنسيق لقوى فاعلة. ما زالت القوى (مفرفطة) مشرذمة. يجب أن يكون هناك تنسيق بين الكل، وتوحيد الجهود لمواقف صلبة وكبيرة ضد الارهاب والتطرف. ما رأيناه هو فقط خمسة بالمئة من الذي يجب أن يكون.

س - لا أعرف إذا تابعت منذ يومين مقابلة في برنامج على «الميادين» اسمه «اجراس المشرق» مع المفتي بدر الدين حسون، مفتي سورية. انه يضيء فيها، من أولها لآخرها، على مريم العذراء في القرآن بكلام جميل جداً. فقد حاول أن يبرهن من خلال الآيات أن حضور مريم العذراء في القرآن أهم من حضورها في الانجيل، من حيث الكم ومن حيث الأهمية.

ج - هذا شيء أعتقد أنه حقيقي. ولكن المسيحية ليست يوسف الاب زوج مريم العذراء أو كيف خلق المسيح. عندي مقالة لم تنشر بعد أقول فيها: ليس مهماً أن تؤمن بأن المسيح ولد من أبيه يوسف وأمه مريم، ومات وقام. كل ذلك يمكن أن تشك فيه. الأهم أن تؤمن بالرسالة المسيحية، القائمة على المحبة. إنه يقول لك أحبوا أعداءكم. ورسالة اللاعنف: من ضربك على خدك الايمن فأدر له الأيسر. ورسالة الغفران: أغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون. ورسالة التواضع. هذه عظمة المسيح.

س - والعظمة يجب أن تكون روحية جوهرية أكثر مما هي مظهرية. ولنعد إلى بيت القصيد. ان تكرار الرأي من قبل بعض العلمانيين المسيحيين بأن كل علماء الدين الاسلامي يقولون إن الاسلام دين ودولة، هو قول تعميمي، من شأنه أن يضعف الشريك المسيحي الذي يستحيل بدونه تحقيق العلمانية.

ج - في حوارنا حتى الآن، أنت تخلط بين العلمانية وفصل الدين عن الدولة، وهما غير مرادفين. ما أطالب به الآن هو فصل الدين عن الدولة. ولكن هناك مرحلة متقدمة أخرى هي العلمانية. ثمة أشياء في العلمانية لا أوافق عليها. أوافق بكل قوتي على فصل الدين على الدولة.

LAU Beirut campus

س - هلاّ حدّدت الفارق بين المقولتين، الذي أعتبره لفظياً؟

ج - العلمانية تحطّ من قيمة الدين.

س - هل تقصد أن العلمانية إلحاد؟

ج - انها شيء من ذلك. ولنقل إنها فتور أو تخفيف من قيمة الدين. العلمانيون يصرون على إلغاء ما يعتبرونه سيئاً في الدين. أنا لا أوافق على وجود شيء سيء. أنا أريد الفصل بين الدين بكل وجوهه عن الدولة.

س - الماركسيون يرفضون الدين. ولكن بقية العلمانيين وأنا منهم، يرفضون الطقوس التي تناقض جوهر الدين.

ج - موقفي يقتصر فقط على فصل الدين عن الدولة وعن التربية. ويبقى الدين عندي موضع احترام كبير.

س - أعود إلى سؤالي السابق. يردد كثيرون من المسيحيين المتعلمين، وبعضهم من العلمانيين، أن معضلة فصل الدين عن الدولة في لبنان تكمن عند المسلمين حيث القرآن دين ودولة، في حين أن الانجيل دين فقط. ولكن هناك مشايخ مسلمون علماء مثل عبد الرحمن الكواكبي وعبد الله العلايلي وبدر الدين حسون، يقولون بفصل الدين عن الدولة. صحيح أن عددهم قليل، ولكن ثقافتهم عميقة ومستواهم الفقهي رفيع. فعندما نعمم، نضعفهم ونضعف شركاءهم العلمانيين - أستعمل هذا المصطلح كمرادف لفصل الدين عن الدولة - المسيحيين. في حين أن التنويه بالعلماء العلمانيين الكبار، والاستشهاد باجتهاداتهم من شأنه أن يضعف الفريق غير العلماني.

ج - أنا أؤمن بأن الاسلام ليس كما يدّعون بأنه غير قابل للحداثة، وغير قابل لفصل الدين عن الدولة. أؤمن بأن هذه الفكرة أتت من المسلمين وليس من الاسلام. أهم شيء يمكن أن يقوم به المسيحيون في الشرق أن يصروا على معانقة المسلمين ومساعدتهم للقيام بالعملية القيصرية لفصل الدين عن الدولة. وهذا أمر ممكن. لماذا هو ممكن في اندونيسيا وليس ممكناً في السعودية أو في سورية؟

ثلاث لمعات

الزواج المدني لا يجحف بحقوق الدين وإن أجحف بمصلحة بعض رجاله.

❖

لكل منّا دين ومذهب.. ولنا كلنا وطن واحد.

❖

لو توقف الأمر على رضاء رجال الدين، لكانت الأرض لا تزال ثابتة والشمس سيارة، رغماً عن الأدلة الفلكية والبراهين العقلية.

يوسف الخازن

الجزء السادس

دول علمانية - طائفية

تركيا

س - هل تؤيد العلمانية التي تأسست في تركيا منذ عشرينات القرن الماضي بقيادة العلماني مصطفى كمال أتاتورك والمهددة اليوم بالسقوط في عهد الإسلامي أردوغان؟ وهل ترى أن العلمانية الكمالية التي أوشكت أن تحتفل بمرور قرن على ولادتها، باتت من المناعة لدرجة عجز أي رئيس على أن يلغيها حتى وإن كان كاريزماتياً كأردوغان، لأن الشعب التركي الذي تذوق حلوها يخاف من العودة إلى مرّ الحقبة العثمانية؟

ج - أنا معك وآمل أن يكون أردوغان تعلّم من الانقلاب الذي حصل ضد حكمه، لأنه برأيي كان يتبع مساراً خطراً جداً. كان يعتدي على المسيرة العلمانية التي هي أعظم ما بقي في تركيا. فتركيا هي الدولة الإسلامية الثانية بعد أندونيسيا التي اعتنقت شيئاً من العلمانية، بمعنى أنها كانت سائرة باتجاه العلمانية. وهذا ما انتبه اليه أردوغان، ليس لأنه مسلم، بل لأن سياسته كانت إسلامية متطرفة. أيضاً هناك أمر آخر مؤكد عنه، وهو أنه دعم التطرف

في تركيا وفي الشرق. وهذا مسار ضد التاريخ. التاريخ يمضي ضد التطرف من أي جهة كانت، خصوصاً ضد التطرف الديني. وهذا ما انتبه اليه أردوغان. وانتبه أيضاً إلى أمر آخر ألا وهو أسلوب الانتخاب. صحيح انه انتخب، لكنه لم يتصرف كديموقراطي. لقد اعتدى على الديمقراطية.

لذلك، برأيي أن تركيا تتبع مساراً فردياً يضر كثيراً بها، وسوف يؤثر على دخولها إلى الاتحاد الأوربي. مَن اليوم في الأتحاد الأوربي يريد تركيا؟ أن حظوظها بالانضمام إلى الاتحاد الأوربي أصبح ضئيلاً جداً، جداً. قد يكون أردوغان رجلاً قوياً. لكن أنا ضد هذا التوجه الذي يتبعه في تركيا.

س - يستنتج بعض المحللين، أو يتوقعون، أن أردوغان يتشدد ويمارس نهج الدكتاتوريين، بدليل أنه اعتقل آلاف القضاة والصحافيين، ومن جهة ثانية يعزز نهج الثأر من خصومه.

ج - اذا أخذ منحى الثأر فهو يدفن نفسه بيديه. لو سألني أردوغان عن رأيي، لقلت له: أولاً، تعلّم من مانديلا. ثانياً، إرتفعْ فوق الثأر. إجمع الناس الذين يتفقون معك واذكر لهم كيف تصرّف مانديلا. الذي أمضى في السجن 26 سنة وعندما خرج صفح عن جلاديه. لماذا أنا أقول إننا نريد رئيساً للبنان مثل مانديلا؟ لأن مانديلا هو الشخصية المطلوبة الآن. لا نريد شخصاً للثأر. نريد شخصاً يجمع. تركيا أصيبت بجرح عميق جداً. المطلوب من أردوغان الصفح لا الثأر. مطلوب منه الجمع. مطلوب منه أن يتعالى على الحقد. ويعود ليجمع تركيا ويتجه بها نحو الديموقراطية، ونحو عدم التطرف الديني. أرفض رفضاً باتاً دعمه للتطرف. بالرغم من أنه يكذب ويقول إنه لا يدعم التطرف الديني. لكن هذا معروف وواضح. ولغاية الآن هو ما زال يصر على إطاحة بشار الأسد لأنه

ديكتاتور. مع أنه يتصرف بالطريقة عينها.

س - إن موقف أردوغان واضح. عندما اسقطوا حكم الأخوان المسلمين. ساءت علاقة تركيا مع مصر.

ج - هذا دليل على أنه كان متعاطفاً مع كل المتطرفين الدينيين.

س - ثمة سؤال من وحي الاحداث في تركيا. كنا نتكلم على ما يُسمى بـ «الدول الإسلامية»، التي اعتمدت العلمانية، ومنها تركيا.

ج - بل نصف العلمانية!

س - هل سيتبخّر النصف العلماني. يبدو أن المحاولة الانقلابية تمثيلية، خصوصاً حين يعتقل من حراس العلمانية خمسة آلاف ضابط ورتيب. إضافة إلى اعتقال ثلاثة آلاف قاض. ألا تخشى أن تعود تركيا دولة دينية كما كانت في عهد السلطنة؟

ج - نعم أنا خائف، ولكن ليس لدرجة ان علمانية تركيا تلفظ أنفاسها. ويعود ذلك لوجود شريحة أساسية علمانية قوية في تركيا. ولكن تركيا ليست الدولة الإسلامية الوحيدة التي تعتمد دستوراً يقارب فصل الدين عن الدولة. عندك اندونيسيا التي هي اكبر دولة إسلامية في العالم. أما أسوأ الدول بالنسبة لفصل الدين عن الدولة، فهي الدول العربية الإسلامية. وفي المقابل، يوجد دول غير عربية تحاول الوصول إلى الدولة العلمانية.

أندونيسيا ودبي

س - هل ترى أنهم نجحوا في أندونيسيا بتفعيل الدولة المدنية؟

ج - بلى، لقد نجحوا بشكل كبير، وهناك الآن دولة نجحت بفصل الدين عن السياسة من غير أن تعلن عن ذلك، وهي دبي. أنا مررت فيها ورأيت كيفية التعاطي.

لذلك أصرّ على السعي لفصل الدين عن الدولة بشكل عاقل وملائم لمجتمعنا وحضارتنا، خصوصاً وأن أكبر مشكلة في الشرق الآن هي «داعش» و«القاعدة» و«النصرة» وكل الأمور تدور في هذا الفلك.

س - في الجلسة الماضية تكلمنا على دبي. ذكرت دبي في عداد الدول الاسلامية القليلة التي اتبعت نظام العلمانية. هلاّ أضأت على بعض مؤشرات العلمنة في الإمارة التي يتميز نظامها بالعمران، خصوصاً وأنك أول من ينوّه بعلمانيتها غير المعلنة؟

ج - أنا لم أقل إن دبي أصبحت علمانية. ولكني قلت إنها تسير في هذا الاتجاه. في المرحلة الأولى انفصلت دبي عن التفكير التقليدي الإسلامي. مثلاً إذا انت أردت أن تشرب كحولاً في أحد

الفنادق، فلا أحد يأتي ويمنعك كما في السعودية. أنها تمر في مرحلة انتقالية. وفيها اتجاه نحو العلمانية. فيها بداية مؤشرات إيجابية. لأن في دبي يوجد قائد اسمه الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، وأنا أحبه. هذا رجل يحب بلده وليس لديه همّ سوى نهضة بلده. ويقود بلده باتجاه الحداثة واحترام حقوق الإنسان. طبعاً مازالت دبي بعيدة عن مبدأ فصل الدين عن الدولة. لكن أنا اتكلم عن توجُّه في هذا الاتجاه.

س - هل اجتمعت بحاكم دبي؟

ج - ليست لي معرفة به.

س - نبقى في دبي التي اعتبرتها في عداد الدول المتجهة نحو العلمانية.. ما هي المعطيات التي تدفعك للقول إن هذه الدولة الخليجية المتميزة عمرانياً، في طريقها إلى اعتماد مبدأ فصل الدين عن الدولة؟

ج - طبعاً، كلّها محاولات خجولة، ومنها تجربة دبي. فليس عادياً أن تذهب إلى دبي وتشرب الكحول أو تجد شجرة الميلاد في الشوارع. هذا يعني، أنها محاولات في الطريق الصحيح للتعددية الحضارية. هل يمكنك قول الشيء نفسه عن السعودية أو عن دول خليجية أخرى؟ إنها الدولة الوحيدة في العالم العربي التي تحاول الخروج من سيطرة الدين على الإنسان. الفرق كبير بين الدين الحقيقي والذين يدّعون الدين. لا خوف عندي على الاطلاق من الإسلام. ولكن خوفي كبير جداً من المسلمين الذين يدّعون الإسلام، ويدّعون أشياء أخرى، كالحضارة. لا أخاف من الإسلام. اخاف من هؤلاء «المسلمين». لم يشوه أحد سمعة الإسلام أكثر مما شوهه هؤلاء المسلمون. في أوربا أو أميركا أو في أي مكان في العالم، إذا

رأيت امرأة محجبة تخاف منها، خشية أن تكون مفخخة وستفجر نفسها. صار الإرهاب يرادف الإسلام. وهذا الشيء هو الذي أرادته الصهيونية العالمية. قلت من 20 سنة في واشنطن (DC) إن إسرائيل تسعى بكل جهدها كي تجعل الإرهاب مرادفاً للعرب. يعني في صراعها مع العرب يتعاطف معها كل العالم. مثلاً في هيوستن هناك أناس لا يعرفون شيئاً عن الفلسطينيين والقضية الفلسطينية. ولكن إذا قلت لهم إن للفلسطينيين حقوقاً، يجيبون: لا نريد أن نسمع شيئاً عن الفلسطينيين ولا عن العرب. دعوهم يقتلوهم كلهم. لأن هؤلاء جماعة وحوش لا شيء عندهم غير الدمار والقتل. كيف ربحت إسرائيل ضد العرب؟ لقد اغتصبوا العقل في الغرب قبل ان يغتصبوا الأرض في الشرق. لأنهم قاموا بعملية غسل دماغ للأميركيين وأقنعوهم بأن هؤلاء جماعة وحوش. مثلاً إبنتي كانت في المدرسة الابتدائية بأميركا، كانوا يقولون لها إن العرب أناس متخلفون يعيشون مع الجمال بلا حضارة. قلت للمديرة إن هذا الشيء غير صحيح. من الذي يروج هذه الأشياء؟ إنهم اليهود الذين يرسمون في كل مناسبة صورة للعربي كانسان متخلف وعنيف. ومن يشاركهم الآن في تلفيقاتهم؟ داعش. هي أفعل سلاح لإسرائيل في الوقت الحاضر.

لبنان

س - وماذا عن لبنان الذي يُقال عنه انه بلد الإشعاع والنور، فيما ينتشر سرطان الطائفية في جسده حتى يوشك القضاء عليه؟ أليس من الأجدى أن نقوم بمعالجة فكرية ومبدئية لهذه المشكلة؟

ج - إن علاقة المواطن بالدولة في لبنان لا تصبح ناضجة إلا إذا تم الفصل بين السياسة والدين. أنا فيليب سالم لا يحق لي أن أكون رئيساً للجمهورية لأني لست مارونياً. ولأنني أرثوذكسي يحق لي فقط بوزارات معينة، وفي ذلك إهانة للإنسان. عندما تنظر إلى الإنسان من منطلق إنتمائه إلى دينه فأنت تهينه.

أين تكمن عظمة أميركا؟ عظمتها أنها لا تسألك عن دينك، بل هي تنظر اليك كإنسان في الدرجة الاولى. نحن في لبنان نسأل عن الانتماء الديني. وبذلك نعمل على تحجيم الإنسان وتدميره.

إسرائيل

س - ألم يساهم الصهاينة بتغذية الطائفية في العالم العربي والعالم الإسلامي، حتى يبرروا وجودهم كدولة يهودية؟

ج – لا أستطيع القول أن إسرائيل قامت بما نراه. ولكني أقول إن ما نراه يخدم فقط إسرائيل. إسرائيل وجدت سلاحاً جديداً لا داعي لأن تشتريه، وهو النزاع بين الشيعة والسنّة، وتمنّت تقاتلهم حتى النهاية. الإسرائيليون يقولون: لتبق الحرب قائمة، ودعهم يقتلوا بعضهم كي لا يأتوا ويقتلونا. وأقنعوا أميركا أن تدع الإرهاب ينتشر في الشرق كي لا ينتقل إلى الغرب. ولكنه الآن انتقل إلى أوربا. والخطوة الثانية إلى أين؟ إلى أميركا. الارهاب لن يتوقف في مكان معين.

أميركانيا وأوربا *
دول علمانية تصدّر الطائفية

س - لو درسنا أنظمة الولايات المتحدة، أو بريطانيا، أو المانيا، أو فرنسا، نرى أن هناك مكيالين متناقضين على مستوى فصل الدين عن الدولة. داخل بلدانهم يمارسون المبدأ بشكل جيد. وفي خارج بلدانهم يدعمون بلداناً أبعد ما تكون عن الفصل بين الدين والدولة كالسعودية مثلاً.

ج – هذا الكلام صحيح. هذه أصبحت لعبة سياسية. قد يكون الغرب، حسب رأيي، مسؤولاً عن الذي يحدث بالنسبة إلى داعش، وأنا لا يمكنني أن أتصور أن الغرب كله، ليس بقادر على مجابهة هذا التنظيم الإرهابي.

أنا لديّ شك بأن الغرب يريد فوضى في العالم العربي. وهو ليس بريئاً على الإطلاق. صحيح أن المسؤولية الكبيرة تقع على شعوبنا. لكن الغرب ليس بريئاً من هذا الذي يجري. ولم يكن بريئاً مما حدث في لبنان. كانوا كل يوم يقولون لنا إنهم يدعمون لبنان، وسياسيي لبنان، لكن بالكلام فقط. إسرائيل تأخذ ثلاثة بلايين دولار في السنة مساعدة، ولبنان يأخذ بين 80 إلى 200 مليون

---

* مصطلح نحته جبر ضومط ليميّز الولايات المتحدة عن سائر القارة الأميركية.

دولار - شخص واحد بمقدوره أن يعطي هذا المبلغ للبنان.

س - لنعد قليلاً إلى الوراء، الدول الغربية. كانت دولاً استعمارية تحتل بلداناً بحجة الانتداب.

ج - باستثناء الولايات المتحدة.

س - ولكنها استعمرت الفلبين!

ج - نعم. ولكن ليس وفق النهج الإنكليزي.

س - فرنسا دولة علمانية، احتلت لبنان قبيل 1920 حتى 1943. ولكن، بدلاً من اعتمادها فيه دستوراً علمانياً، اعتمدت نظاماً طائفياً، وجمّلته بعبارة تفيد أن الطائفية مؤقتة.

ج - هذه نقطة مهمة. ليتنا تحت الانتداب الفرنسي. لأننا على كل علاته كنا أفضل بكثير مما نحن عليه اليوم. النقطة المهمة أنها استعملت الطائفية بصيغة مؤقتة. نحن ثبّتنا الطائفية في الطائف. قبلاً كان عرفاً أن يكون رئيس الجمهورية مارونياً، ورئيس الوزراء سنياً، ورئيس مجلس النواب شيعياً. الآن اصبح هذا دستوراً.

س - لكن قبل الطائف كانوا يرسّخون الطائفية بالممارسة.

ج - هذا كان مسؤوليتنا نحن، بعد مغادرة الفرنسيين. خرج الفرنسيون وبقي نفوذهم.. لكن عندما خرجنا من هذا النفوذ ماذا فعلنا نحن حتى نلغي الطائفية السياسية؟ لغاية اليوم، أنا أطرح موضوع الطائفية. لا نقول بفصل الدين عن الدولة. ما نقوله هو إلغاء الطائفية السياسية. ونحن غير قادرين على تحقيق ذلك.

س - سؤالي يتضمن نقداً لفرنسا التي كانت قادرة على ترسيخ العلمانية بعدما حكمته أكثر من ربع قرن، خصوصاً وأنها

Nassar Library

بلد قوي متقدم يستعمر بلداً ضعيفاً متخلفاً. ابتدأوا بداية خجولة باتجاه فصل الدين عن الدولة، عندما عينوا رئيسين أو ثلاثة غير موارنة. أيوب ثابت كان بروتستانتياً. شارل دباس وبترو طراد كانا أرثوذكسيين. بعدئذ رسّخوا العرف المذهبي، بمعنى أن يكون الرئيس مارونياً. الآن تغيرت الأوضاع قليلاً لكن بالنسبة إلى السياسيين ورؤساء الجمهورية ورؤساء الوزراء إلى آخره، مازالت كما هي، هنا اللوم الكبير على دولة الحرية والاخاء والمساواة.

ج - لكن اللوم الأكبر علينا أيضاً لأنه، منذ ذلك العام 1943 لغاية اليوم نحن لم نفعل شيئاً. وقعت ثورة 1958. ثم عادت ووقعت أحداث 1975، وفيها استُخدِم الفلسطينيون كجيش بديل من الجيش الوطني، كما وُظّف الإسلام السياسي.

س - أنت تذكر «ثورة» 1958، أي أحداث الأشهر الثلاثة التي أطلق عليها سعيد تقي الدين اسم «صيف الدم» من أي ناحية برأيك كان يمكن فصل الدين عن الدولة في لبنان؟

ج - كانت بداية بدء الشرخ بين المسيحيين والمسلمين. لكن أنظر إلى عظمة لبنان، قبل أن أنسى. منذ 40 سنة وهم يريدون إقامة هذا الشرخ بين المسيحيين والمسلمين. اليوم لا يوجد شرخ حقيقي. الشرخ هو سياسي.

س - هل يسهّل ذلك عملية فصل الدين عن الدولة.

ج - أكيد. لماذا أنا أصر على لبنان؟ لأن لبنان هو المثل. هذا يمكن أن يطبّق في لبنان. لكن قد يكون تطبيقه صعباً في معظم الدول العربية. أقول هذا لأن لبنان هو أنسب حضارياً لفصل الدين عن الدولة. انما المطلوب قيادة سياسية مؤهلة وحازمة.

ثلاث لمعات

ما دام قومنا لا يميزون بين الأديان التي يجب أن تكون بين العبد وخالقه، والمدنيات اتي هي بين الانسان وابن وطنه، ولا يضعون حداً فاصلاً بين هذين المبدأين الممتازين طبعاً وديانة، لا يؤمل نجاحهما في أحدهما ولا فيهما جميعاً كما لا يخفى.

❖

يا أبناء الوطن: ها الآداب والتمدن ووسائل الاتحاد والإلفة واقفة من كل جهة مزدحمة على أبوابكم تقرع بقوة طالبة الدخول.. فانبذوا عنكم تعصباتكم الدينية وتحزباتكم المذهبية وعداواتكم الطائفية، وافتحوا الأبواب لتلك الضيوف الفاضلة.

❖

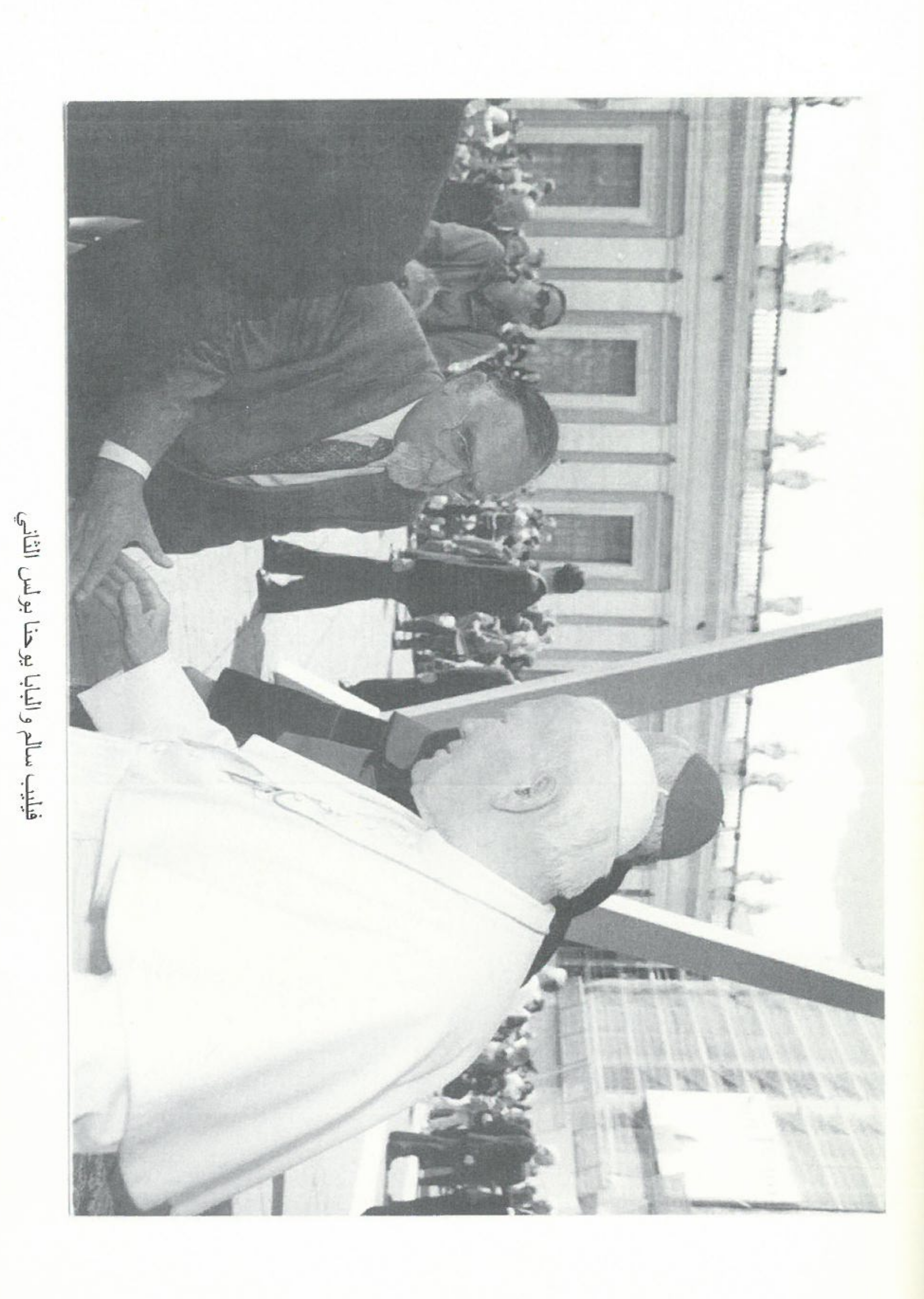
أما الذين يبدّلون حب الوطن بالتعصب المذهبي، ويضحّون خير بلادهم لأجل غايات شخصية، فهؤلاء لا يستحقون أن يُنسبوا إلى الوطن وهم أعداء له.

المعلم بطرس البستاني

فهرس الأعلام

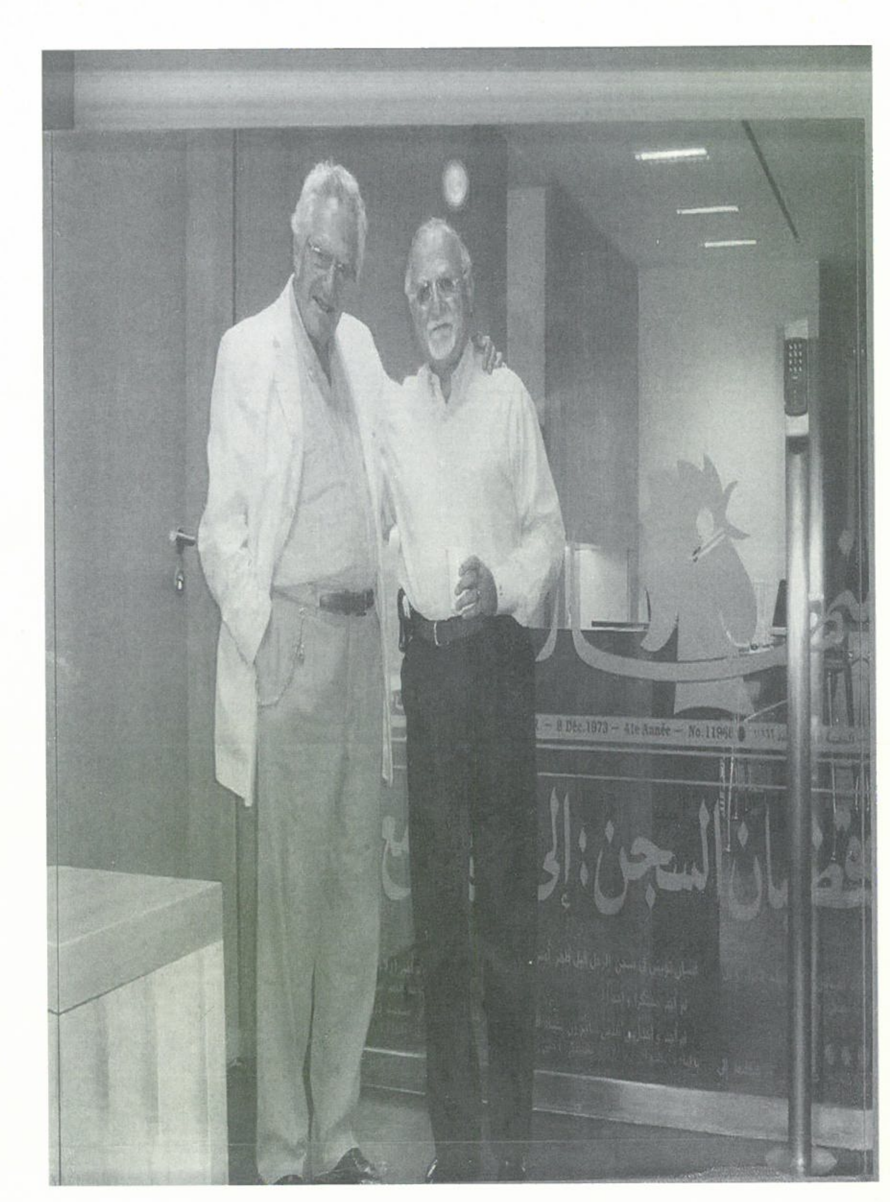
Diuan Nassar Library

LAU Riyad Nassar Library Beirut campus

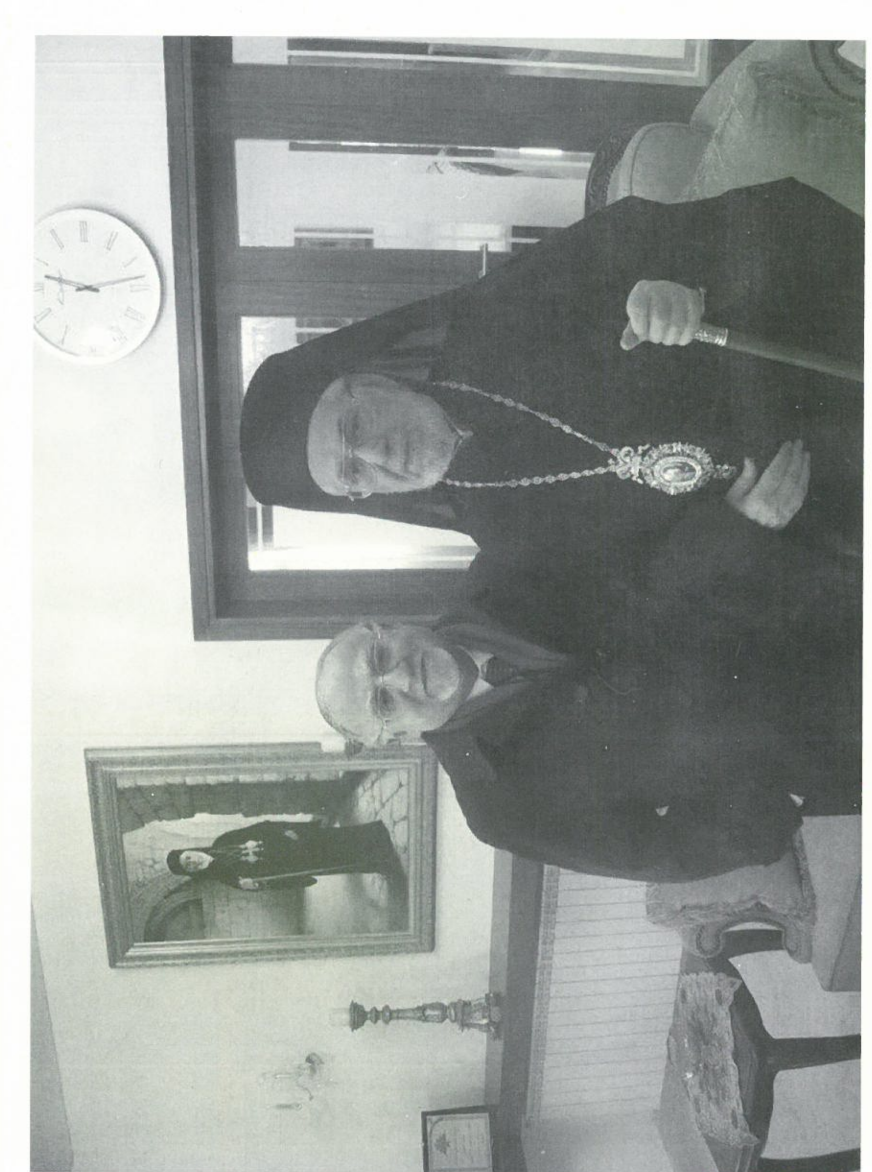


فيليب سالم والبابا يوحنا بولس الثاني

Riyad Nassar Library



فيليب سالم و غسان تويني



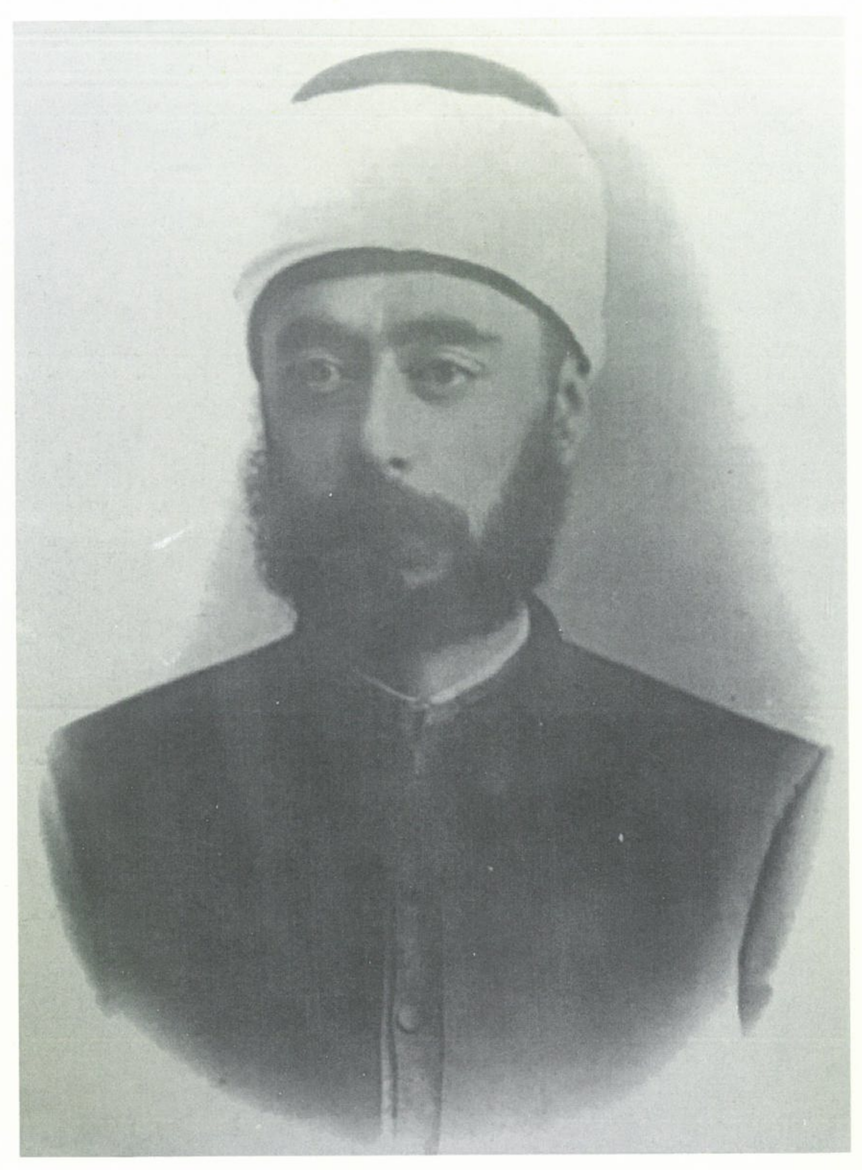
فيليب سالم و البطريرك اغناطيوس هزيم



فيليب سالم و كلوفيس مقصود



سعيد تقي الدين



الشيخ عبد الرحمن الكواكبي



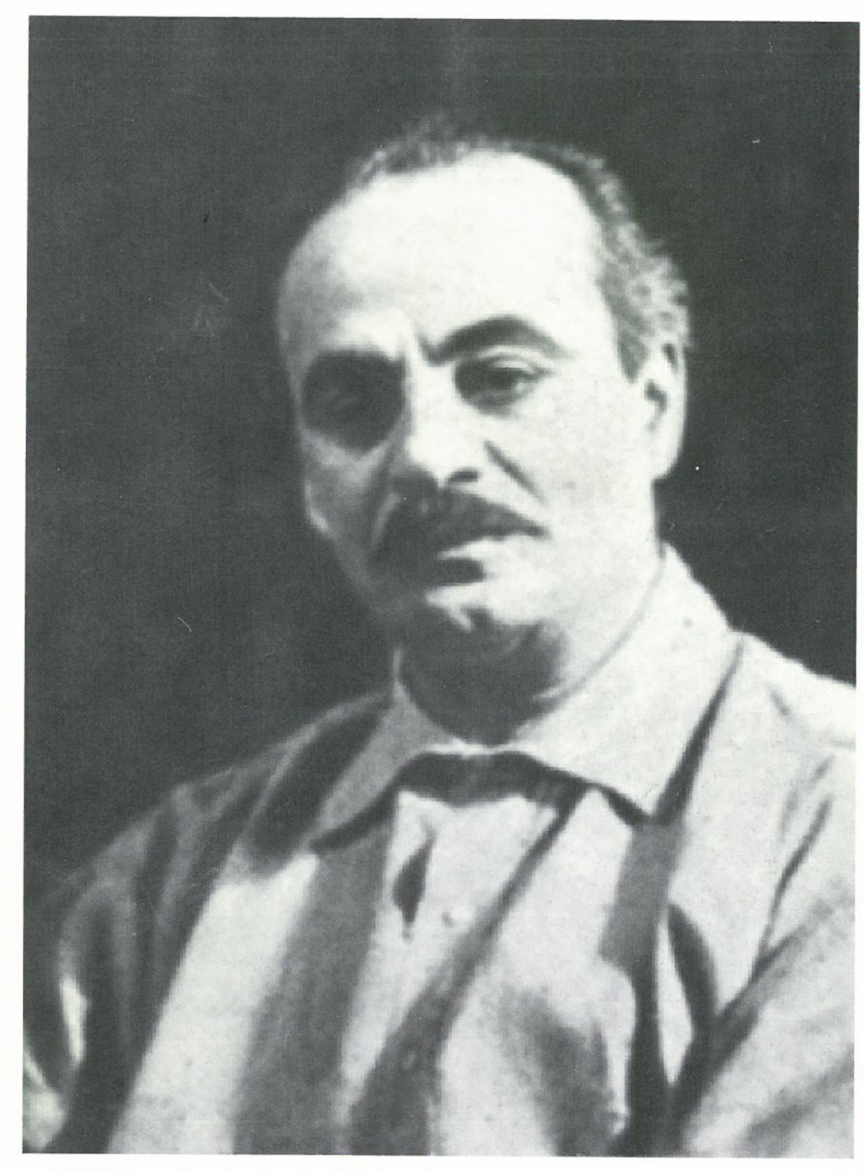
أنطون سعاده



أمين الريحاني



الدكتور خليل سعاده



جبران خليل جبران



المعلم بطرس البستاني

Riyad Nassar Library

صدر للمؤلف

1 - المسألة الفلسطينية بين الحزب القومي والحزب الشيوعي، دار الابجدية 1970.
2 - سعيد فخر الدين، شهيد الاستقلال الأول، الطبعة الأولى 1972، الطبعة الثانية 2001.
3 - قاووش رقم 14 - 1975.
4 - تجربة العالم الثالث، معهد الانماء العربي، 1977 (بالاشتراك مع رشيد مسعود).
5 - بدايات سعيد تقي الدين، 1978.
6 - ادب سعيد تقي الدين، 1979.
7 - الدكتور خليل سعادة: سيرة وافكار، 1981 (بالاشتراك مع بدر الحاج ونصري الصايغ.
8 - المعلم بطرس البستاني، دار فكر، 1984.
9 - صحافة الكواكبي، دار فكر - 1984.
10 - عقيدة جبران - دار سوراقيا للنشر - لندن - 1988.
11 - الامام الكواكبي، فصل الدين عن الدولة، دار سوراقيا للنشر، لندن، 1990.
12 - غسان جديد.. المسألة الفلسطينية، دار سوراقيا للنشر، لندن، 1990.
13 - عقيدة سعيد تقي الدين، من 1921 إلى 1951، فجر النهضة، 1991.
14 - جبران تويني وعصر النهضة، دار النهار للنشر، 1994.
15 - سعاده والنازية، فجر النهضة، الطبعة الأولى 1995، الطبعة الثانية 2004.
16 - الاحرار المصورة، دار النهار للنشر، 1995.
17 - عبدالله قبرصي في الميزان، 1995 (بالاشتراك مع مجموعة من الكتّاب).
18 - سعيد تقي الدين في الحزب القومي، الجزء الأول، فجر النهضة، 1995.
19 - المعلم رزق الله حلبي، منشورات مجلة «قب الياس»، 1996.
20 - خليل حاوي والشعر الطليق، فجر النهضة، آذار 1997.
21 - حياتي الحزبية، الجزء الأول، فجر النهضة، آذار 1997.
22 - سعيد تقي الدين في الحزب القومي، الجزء الثاني، فجر النهضة، 1997.



الشيخ يوسف الخازن

23 - مذكرات محمود نعمة، فجر النهضة، 1998.
24 - الدكتور خليل سعاده، نتاجه الفكري وجهاده السياسي، فجر النهضة، 1998.
25 - سعيد تقي الدين في الحزب القومي، الجزء الثالث، فجر النهضة، 1999.
26 - عبد الرحمن الكواكبي، جريدة «العرب»، فجر النهضة، كانون الثاني 2000.
27 - الآغا خان بين فارس الخوري وعبد الحميد، فجر النهضة، ايار 2000.
28 - محاكمة أنطون سعاده.. وثائق التحقيق الرسمي، 2002.
29 - سعاده وهشام شرابي، دار نلسن، السويد، نيسان 2004.
30 - سعاده ومفكرو النهضة/تجربة فخري معلوف، دار نلسن، السويد، ايلول 2004.
31 - هشام شرابي صحافيا، دار نلسن، السويد، آذار 2006.
32 - نشوء الامم، النسخة الاصلية كما نقحها المؤلف انطون سعاده، فجر النهضة، 2007.
33 - لكم جبرانكم ولي جبراني، مع خمسين نصاً مجهولاً لجبران، منشورات مجلة «قب الياس»، 2008. الطبعة الثانية 2017.
34 - محمد الماغوط وصوبيا الحزب القومي، فجر النهضة، 2009.
35 - جرجي زيدان، يوميات رحلة بحرية، فجر النهضة، 2010.
36 - أنطون سعاده وحرية المعتقد، فجر النهضة، آذار 2011.
37 - أمين الريحاني، كشكول الخواطر، فجر النهضة، 2014.
38 - أنطون سعاده، مقالات ضائعة، فجر النهضة، 2014.
39 - أنطون سعاده، مقالات أخيرة، فجر النهضة، 2016.
40 - الشيخ يوسف الخازن، أقوال وأحوال، دار نلسن، 2016.
41 - أنطون سعاده، حياتنا الجديدة، فجر النهضة، 2017.
42 - محمد يوسف حمود، قل كلمتك وقف، فجر النهضة، 2018.
43 - البروفسور فيليب سالم، سرطان الطائفية.

يصدر قريباً

1 - بدايات انعام رعد.
2 - موسى قرداحي .. سيرته ونتاجه.
3 - فجر النهضة السورية، من أسعد يعقوب الخياط إلى أنطون سعاده.

مجموعة سعيد تقي الدين - حققها وقدم لها جان داية

1 - لولا المحامي (مسرحية).
2 - حفنة ريح (مسرحية).
3 - الدروب الموحشة (مسرحية).
4 - المنبوذ (مسرحية).
5 - نخب العدو (مسرحية).
6 - تبلغوا وبلغوا (مقالات عقائدية).
7 - غدا نقفل المدينة (مقالات سياسية).
8 - موجة نار (قصص قصيرة).
9 - الثلج الاسود (قصص قصيرة).
10 - ربيع الخريف (قصص قصيرة).
11 - غابة الكافور (قصص قصيرة).
12 - رياح في شراعي (مذكرات).
13 - انا والتنين (مذكرات).
14 - سيداتي سادتي (خطب).
15 - غبار البحيرة (مقالات أدبية).
16 - كل مواطن خفير (المسألة الفلسطينية).
17 - كيف حال جنابك (المسألة الفلسطينية).
18 - يدي على قلبي (رسائل).
19 - من شرفة المرصد (البواكير).
20 - رفة جناح (أقوال مأثورة).
21 - عبوس الآلهة (مقالات سياسية).
22 - جسر تحت الماء (مقالات سياسية مترجمة عن الانكليزية).
23 - جامعة بعقلين الاميركية (مقالات متنوعة مترجمة عن الانكليزية).
24 - شمدص جهجاه (نصوص سياسية ساخرة).
25 - كتبوا عن سعيد تقي الدين (مقالات الآخرين عن سعيد تقي الدين).

يصدر قريباً

1 - سقط سهواً (مقالات، رسائل، رفة جناح، الخ).
2 - المليون ضائع (مسرحية).

23 – مذكرات محمود نعمة، فجر النهضة، 1998.
24 – الدكتور خليل سعاده، نتاجه الفكري وجهاده السياسي، فجر النهضة، 1998.
25 – سعيد تقي الدين في الحزب القومي، الجزء الثالث، فجر النهضة، 1999.
26 – عبد الرحمن الكواكبي، جريدة «العرب»، فجر النهضة، كانون الثاني 2000.
27 – الآغا خان بين فارس الخوري وعبد الحميد، فجر النهضة، ايار 2000.
28 – محاكمة أنطون سعاده.. وثائق التحقيق الرسمي، 2002.
29 – سعاده وهشام شرابي، دار نلسن، السويد، نيسان 2004.
30 – سعاده ومفكرو النهضة/تجربة فخري معلوف، دار نلسن، السويد، ايلول 2004.
31 – هشام شرابي صحافيا، دار نلسن، السويد، آذار 2006.
32 – نشوء الامم، النسخة الاصلية كما نقحها المؤلف انطون سعاده، فجر النهضة، 2007.
33 – لكم جبرانكم ولي جبراني، مع خمسين نصاً مجهولاً لجبران، منشورات مجلة «قب الياس». 2008. الطبعة الثانية 2017.
34 – محمد الماغوط وصوبيا الحزب القومي، فجر النهضة، 2009.
35 – جرجي زيدان، يوميات رحلة بحرية، فجر النهضة، 2010.
36 – أنطون سعاده وحرية المعتقد، فجر النهضة، آذار 2011.
37 – أمين الريحاني، كشكول الخواطر، فجر النهضة، 2014.
38 – أنطون سعاده، مقالات ضائعة، فجر النهضة، 2014.
39 – أنطون سعاده، مقالات أخيرة، فجر النهضة، 2016.
40 – الشيخ يوسف الخازن، أقوال وأحوال، دار نلسن، 2016.
41 – أنطون سعاده، حياتنا الجديدة، فجر النهضة، 2017.
42 – محمد يوسف حمود، قل كلمتك وقف، فجر النهضة، 2018.
43 – البروفسور فيليب سالم، سرطان الطائفية.

يصدر قريباً

1 – بدايات انعام رعد.
2 – موسى قرداحي .. سيرته ونتاجه.
3 – فجر النهضة السورية، من أسعد يعقوب الخياط إلى أنطون سعاده.

مجموعة سعيد تقي الدين - حققها وقدم لها جان داية

1 – لولا المحامي (مسرحية).
2 – حفنة ريح (مسرحية).
3 – الدروب الموحشة (مسرحية).
4 – المنبوذ (مسرحية).
5 – نخب العدو (مسرحية).
6 – تبلغوا وبلغوا (مقالات عقائدية).
7 – غدا نقفل المدينة (مقالات سياسية).
8 – موجة نار (قصص قصيرة).
9 – الثلج الاسود (قصص قصيرة).
10 – ربيع الخريف (قصص قصيرة).
11 – غابة الكافور (قصص قصيرة).
12 – رياح في شراعي (مذكرات).
13 – انا والتنين (مذكرات).
14 – سيداتي سادتي (خطب).
15 – غبار البحيرة (مقالات أدبية).
16 – كل مواطن خفير (المسألة الفلسطينية).
17 – كيف حال جنابك (المسألة الفلسطينية).
18 – يدي على قلبي (رسائل).
19 – من شرفة المرصد (البواكير).
20 – رفة جناح (أقوال مأثورة).
21 – عبوس الآلهة (مقالات سياسية).
22 – جسر تحت الماء (مقالات سياسية مترجمة عن الانكليزية).
23 – جامعة بعقلين الاميركية (مقالات متنوعة مترجمة عن الانكليزية).
24 – شمدص جهجاه (نصوص سياسية ساخرة).
25 – كتبوا عن سعيد تقي الدين (مقالات الآخرين عن سعيد تقي الدين).

يصدر قريباً

1 – سقط سهواً (مقالات، رسائل، رفة جناح، الخ).
2 – المليون ضائع (مسرحية).

ثلاث لمعات

تكريم القديسين يتم في العمل لا التعطيل.

❖

عندما لا تكون الكفاءة المعيار، يكون الانهيار.

❖

أنا مع الدين ولست مع رجاله.

فيليب سالم

جان داية
موبايل: 03-510524
Email: jeandayeh@hotmail.com

LAU Beirut campus Riyad Nassar Library

البروفسور

فيليب سالم

سرطان الطائفيّة

كتاب هذا يختلف عن سواه. انه أسئلة يطرحها جان دايه على الدكتور فيليب سالم حول سرطان الطائفية .انه مثير للنقاش، ومثير للتساؤل. ولعل القارىء يجد متعة في معرفة مشكلات لبنان من رجل علم، وليس من رجل سياسة، من دون أن يعني ذلك أنه غير سياسي. بل أن سياسته ابداع فكره وثقافته وتربيته.

وفي الكتاب لذة اكتشاف العلاقات الشخصية والسياسية والانسانية، مع رجالات لبنان الذين عاصرهم من انطون سعاده الى شارل مالك وغسان تويني واخرين.

نصري الصايغ